الفصل الثاني

الدراسة المقارنة

obeikandl.com

obeikandl.com

علم اللغة المقارن (ماهيته وحدود عمله)

يذكر ماريو باي أهمية علم اللغة المقارن وقيمته بقوله: "حينما تنقصنا الشواهد الكاملة، يوجد هناك منهج آخر يمكن اتباعه، وهو منهج كان رائجًا في أواخر القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر، على أيدى علماء اللغة التاريخيين العظماء، مثل: جونز Jones، وبوب Bopp، وراسك Rask، والأخوة جريم Grimm"[1]، ويوضح ماريو باي طريقة العمل في هذا العلم بقوله: "ويتضمن المنهج المقارن أساسًا وضع الصيغ المبكرة المؤكدة، المأخوذة من لغات يشك وجود صلة بينها جنبًا إلى جنب، ليمكن إصدار حكم فيها بعد الفحص والمقارنة، ومن هذه المقارنة يمكن استنتاج شيئين:

أولاً: درجة الصلة بين عدة لغات وضعت تحت الفحص، إذا كان هناك أي صلة.

ثانياً: الشكل الذي يبدو أقرب صلة إلى اللغة الأم؛ التي وجدت في الماضي. والتي تعد الأصل المشترك لهذه اللغات، ومنها انشعبت جميعها[1].

ويذكر ماريو باي أن علم اللغة المقارن يمكننا من التثبت من أن مجموعة لغات قديمة تشكل مجموعة تظن قرابتها النسبية، مثال ذلك مجموعة اللغات: (السنسكريتية واليونانية واللاتينية والقوطية والسلافية القديمة والكلتية القديمة) حيث يتضح من خلال المقارنة فيما بينها حقيقة هامة، وهي أن تلك اللغات تشترك جميعًا في شيئين اثنين: أحدهما: التراكيب النحوية الأساسية. وثانيهما: المفردات البدائية. وثالثها: ما يتضح بعد المقارنة لعديد من الكلمات التي تحتوي على فونيمات معينة، وهو أنه يوجد بين هذه اللغات تقابل فونولوجي فحين نجد بعضها يشتمل على صوت الـ P. في أول الكلمة، نجد بعضها الآخر يضع مكانه صوت الـ F، وبعضًا آخر صوت الـ h وأحيانًا لا نجد لهذا الصوت مقابلا في بعض آخر[2].

لقد وفرت هذه المقارنات لعلماء اللغة التاريخيين إمكانية عمل جداول توضح التقابلات الفونولوجية بين اللغات، وأن يتنبئوا– مع قدر كبير من الثقة– بأنه إذا ظهر صوت الـ P في أول كلمة في لفظ في السنسكريتية واليونانية واللاتينية، فسيظهر في شكل F في الجرمانية وفي شكل h في الأرمينية، وسيسقط تمامًا في اللغة الكلتية أوأن

---

(1) انظر: أسس علم اللغة ١٦٤

(2) انظر: أسس علم اللغة ١٧٠

ثمة علاقات قوية توجد بين هذه اللغات التي أطلق عليها فيما بعد اسم اللغات: الهندوأوربية Indo- European وأن هذه اللغات وما بينها من علاقات قرابة، تساعد على بعض التنبؤات عن الصورة التي كانت عليها اللغة الأم، حيث يمكن بعد أخذ عينة من التركيبات النحوية، وبخاصة المتطابق منها، وعينة من المفردات والألفاظ، وعينة من الفونيمات؛ التي تأخذ دورًا بارزًا في الكلمات المتقابلة في مختلف اللغات، أن يتوصل الباحثون إلى إعادة تركيب اللغة الأم، ولوبصورة تقريبية على الأقل، بمظاهرها وصيغها، على الرغم من أنها لغة لم يصل إلينا منها أية تسجيلات مكتوبة، وحينئذ يمكننا القول بأن الدراسات المقارنة ربما تؤدي إلى إعادة بناء لغة ما، وهذا العمل في حد ذاته يعدُّ شيئًا له وسيلته وطريقتة الفنيةوكذا منهجه الخاص[1].

كما يذكر ماريو باي أن هذه الدراسات المقارنة من شأنها أن تؤدي إلى اكتشاف علاقات وطيدة بين مجموعة من اللغات، وأنها تؤدي بدورها إلى استبعاد عدد آخر من المجموعة. إن مثل هذه الدراسة تقرر أن الإنجليزية والألمانية والاسكندنافية واللغات الرومانسية والسلافية واللغات الفارسية والهندية الشمالية واليونانية والأرمينية ولغات أخرى معينة تعرضت للانقراض منذ آماد بعيدة كلها تقع تحت المجموعة الهندوأوربية، ولكنها في نفس الوقت تقصى عن المجموعة لغات أخرى مثل: الهنغارية والفنلندية والتركية والعربية والعبرية والصينية واليابانية، وعددا آخر من اللغات. وأن كثيرًا من هذه اللغات السالفة الذكر يمكنها أن تؤلف عائلات قوية منفصلة، يمكن تطبيق الدراسات المقارنة عليها. حيث تأكد عن طريق هذه المقارنات من وجود عائلة اللغات الحامية السامية (المصرية القديمة والقبطية والبربرية الحديثة، التي تنتسب إلى اللغات الحامية، والأكادية القديمة والفينيقية والعبرية الحديثة والعربية والأمهرية، التي تنتسب إلى اللغات السامية. كما تأكد عن طريق الدارسات المقارنة أن ثمة عائلة لغوية يطلق عليها: العائلة الأورالية الألطائية Ural- Altai وتشتمل على اللغات الهنغارية والفنلندية والإستونية، تنتسب للفرع الأورالى، واللغات التركية والمنغولية والأوزبكية والمنشورية، تنتسب للفرع الألطائي[2].

---

(1) انظر: أسس علم اللغة ١٧٠

(2) انظر: أسس علم اللغة ١٧١

كما أسهمت الدراسات المقارنة في التوصل إلى معرفة كثير من اللغات الإنسانية للشعوب البدائية أو المتخلفة تلك اللغات التي كانت عصية على المقارنات، حيث أفادت الدراسات الوصفية في تقديم العون للدارسين في المقارنات اللغوية ومكنتهم –فيما بعد–من تصنيف هذه اللغات الهندية الأمريكية واللغات الإفريقية وجميعها معلومات هامة لم يكن من الممكن التوصل إليها منذ قرن مضى[1].

وفي حين يؤكد فندريس أن المنهج المقارن "ليس إلا امتدادًا للمنهج التاريخي، في أعماق الماضي السحيق، وينحصر في نقل التفكير، الذي يطلق على العهود التاريخية إلى عهود لانملك منها أية وثيقة"[2] فإن ماريو باي يذكر بأن المنهج المقارن، يولي وجهه شطر الماضي السحيق، فإنه في الواقع لا يؤتي ثمرته، إلا في اتجاه عكسي، لأنه يوضح تفاصيل اللغات الثابتة بالوثائق، وأظهر نتيجة لنحو اللغات الهندوأوربية المقارن، تنحصر في تحديد صلات القرابة بين هذه اللغات، فكل اللغات الفارسية واللغات السلافية والجرمانية والرومانية والكلتية، إذا اعتبرت من الوجهة الزمنية تبدو للعالم اللغوي، نتيجة لسلسلة متتابعة من التباين لحالة لغوية واحدة سابقة عليها جميعا، وتسمى باللغة: "الهندية الأوربية"[3].

لقد أسهم النحو المقارن في تقديم نظام يمكننا من تصنيف اللغات في أسرات تبعًا لخصائصها، ويذكر فندريس بأنه " بمقارنة الأصوات والصيغ، تتجلى ضروب التجديد الخاصة بكل لغة، في مقابلة البقايا الباقية من حالة قديمة، وقد نجح اللغويون في أن يحددوا ما قبل تاريخ اللغات الهندوأوربية، ولكنهم لم يصلوا إلى معرفة ما كانوا يتكلمونها، ولم يستطيعوا أن يحددوا أسلاف الإغريق أو الجرمان أو اللاتين أو الكلتيين، وإنما يعرفون فقط التغييرات التي مرت بها الجرمانية والإغريقية واللاتينية والكلتية، حتى وصلت إلى الحالة التي تكشف عنها النصوص. أما الأسماء التي أطلقوها على اللغات، التي أعادوا بناءها فتحكمية. قد اتفقوا عليها مجرد اتفاق، فكلمة: الهندية الأوربية، إذا أخرجت من الاستعمال اللغوي، لم يبق لها أي معنى[4].

---

(1) انظر: أسس علم اللغة ١٧١
(2) اللغة لفندريس ٣٧٥
(3) انظر: لغات البشر ماريو باي ٧٤
(4) اللغة لفندريس ٣٧٥

الربط بين التفكير اللغوي عند العرب
ونظريات البحث اللغوي الحديث

ينبغي أن ندرك أن الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، أصبح من المسائل الملحة والقضايا الهامة، التي تطرح نفسها على أذهان العلماء والباحثين، وبخاصة بعد ظهور علم اللغة الحديث، كعلم مستقل، له كيانه المتميز بين بقية العلوم الأخرى.

لقد استطاع هذا العلم؛ الذي ثبَّت أركانه، ودعَّم قواعده، أن يلج القضايا اللغوية المختلفة، محللاً إياها، وفق منهجية ثابتة ودقيقة، ونالت مسألة الربط بين التراث اللغوي القديم، وقواعد البحث اللغوي الحديث، أهمية واضحة لدى علماء اللغة المحدثين.

حقاً، فإن فترة ليسب بالقصيرة، كانت الغلبة فيها لأنصار المنهج الوصفي البنيوي الذي أولى فيه العلماء جل اهتمامهم لدراسة اللغات الحية والمنطوقة.

استمرت هذه الغلبة المسيطرة على دراسات العلماء وبحوثهم، منذ انطلاقها على يد العالم اللغوي السويسري الشهير "دي سوسير De، Sausser" رائد المدرسة الوصفية البنيوية الحديثة في أوربا وفي أمريكا والشرق العربي على السواء.

وإذا كان ظهور المدرسة الوصفية البنيوية، يُعدُّ ثورة في عالم الدراسات اللغوية، بما فعلته في ساحة هذه الدراسات، فحولت مسارها من قصرها على الدراسات الفيلولوجية للغات، فإن ظهور المدرسة التوليدية التحويلية في أمريكا، على يد العالم اللغوي "نعوم تشومسكي N"Chomsky"، يُعدُّ – أيضا–ثورة لغوية كبرى في الربع الأخير من هذا القرن العشرين، حيث بهرت هذه الثورة اللغوية – بما قدمته من منهج جديد –العديد من العلماء في أمريكا وأوربا والشرق العربي على السواء.

إن العودة إلى التراث اللغوي من أجل الوقوف على ما يتضمنه هذا التراث من آراء متطورة لهو من الأمور الهامة التي من شأنها أن تلقي الضوء على المواضيع العديدة التي يلقى فيها هذا التراث مع أحدث ما وصل إليه البحث اللغوي. ولا يخفى علينا مدى

الفائدة الكبرى التي يمكن أن نتوصل إليها من خلال هذا الربط، والذي بلا شك سيُظهر مدى استمرارية الفكر اللغوي عبر الزمان.

لقد جاء كتاب "الألسنية الديكاريتية"[1] ليكون مثالا حيا على اهتمام العلماء اللغويين المحدثين بضرورة العودة إلى التراث اللغوي، من أجل إظهار مواضع التقارب بين بعض جوانبه المهملة، وبين المفاهيم اللغوية الحديثة.

لقد استطاع " N"Chomsky، في هذا الكتاب أن يقف على عديد من العناصر التي تمثل التقاء واتفاقا بين معطيات نظريته التوليدية التحويلية وبين القواعد التي أرساها "ديكارت" فيما تعرف باسم "قواعد بورت رويال". كما نذكر من هؤلاء العلماء الذين ربطوا بين الفكر اللغوي القديم، ونظريات البحث اللغوي الحديث والذين أرخوا له من منطلق اهتمامهم بهذا الجانب نذكر كلا من لوروا[2] "M"Leroy، وليبتشي [3] "Lepschy" CG، وكذلك جورج مونان[4] "G"Mounin، وكريستيفا[5] "Kristeva" J، وروبنز[6] "R"Robins،M.

وإذا كان الربط بين التراث اللغوي القديم، والفكر اللغوي الحديث، قد حظي باهتمام واضح لدى العلماء الغربيين، فإن جهود علمائنا العرب في هذا السبيل، تُعدُّ قليلة – حقًا –إذا ما قيست بجهود العلماء الغربيين.

إننا لا نستطيع بحال من الأحوال أن نتهم تراثنا اللغوي العربي بخلوه من التحليلات والملاحظات الجديرة بأن يُعاد النظر فيها من خلال ربطها بمناهج البحث اللغوي الحديث.

وعلى العكس من ذلك تماما فإن اللغويين العرب قد أولوا اللغة العربية أقصى اهتمامهم، وقدموا بالتالي الملاحظات المتعددة والقيمة حول قضايا اللغة، وآراؤهم هذه

---

(١) N.Chomsky: Cartesian linguistics ،New york ،1960

(٢) M, Leroy: Les grands courants de la linguistique moderne. Bruxclles, ،1963 2em. Ed, 1971

(٣) G, C, Lepschy: La linguistique structurale, trad, Francais, paris payot, ١٩٦٦

(٤) G, Mounin: Histoire des linguistique des Origines au.xxsiecle, paris P.U.F, 1967

(٥) J, Kristeva: Le langage cet inconnu, paris, seuil 1969

(٦) R, M, Robins: Ashort history of linguistics, Longman 1967 Green and co lid, London and Harlow trad Francise Ed seuil 1976

بالإمكان اعتبارها متطورة بالنسبة إلى زمانهم، وبالإمكان لدى العودة إلى مؤلفات هؤلاء العلماء العرب القدامى، ملاحظة المجهود الهائل الذي قام به الأوائل في مجال دراسة اللغة والعناية الدقيقة التي بذلوها في جمع أصول اللغة ولم شتاتها واستنباط أحكامها العامة، بل أكثر من ذلك بالإمكان ملاحظة المفاهيم المتطورة التي أتوا بها، التي بالإمكان مقارنتها ببعض المفاهيم الألسنية[1].

وإذا كان اهتمام علمائنا الباحثين والدارسين العرب على هذا النحو في الندرة التي لا تتناسب مع الكم الهائل من تراثنا اللغوي الذاخر، فإن عددا كبيرا من العلماء الغربيين، قد أولوا تراثنا العربي اهتماما واعتبارا، وجاءت جل أعمالهم على نحو من العمق والتحليل والدراسة بالقدر الذي يجعلنا نؤكد أنهم استطاعوا الإجابة عن كثير من القضايا والمشاكل اللغوية، في لغتنا العربية. لقد مكنهم من الوصول إلى هذه الإجابات، إحاطتهم الواسعة باللغات السامية الأخرى، ومن ثم فقد جاءت دراساتهم في الربط بين التراث اللغوي العربي القديم، ونظريات البحث اللغوي الحديث، جاءت هذه الدراسات على نحو من الدقة، وإذا كان بعض علماء اللغة المعاصرين يرى أن تراثنا اللغوي العربي، لم يحظ باهتمام العلماء الغربيين وأن الربط التاريخي بين مناهج الدرس اللغوي الحديث والفكر اللغوي العربي القديم، حالت دون تحقيقه مجموعة من العوامل تتمثل في جهل علماء اللغة الغربيين باللغة العربية، ولتراثها اللغوي مما أدى إلى عدم الاهتمام بالنتاج اللغوي وعدم الاطلاع عليه، وأن هؤلاء العلماء قد أهملوا فترة القرون الوسطى بصفة عامة، تلك الفترة التي تمثل ازدهار الفكر اللغوي العربي، كما أنه يذكر أن نزعة الغربيين إلى تجاهل كل ما لا ينتمي للحضارة الغربية بصورة وثيقة، وأن روينز Robins لم يخصص في كتابه: "Ashort history of linguistics" سوى صفحتين فقط لاستعراض الفكر اللغوي العربي، وأن "كريستيفا Kristeva " لم تخصص سوى خمس صفحات للفكر اللغوي العربي حصرتها في بيان أهمية هذا الفكر في العصور الوسطى.

حقاً، فإن إهمال العلماء الغربيين لفاعلية التراث اللغوي العربي بعامة من خلال ربطه بالمناهج اللغوية الحديثة، أمر واضح، بيد أن ذلك لا ينبغي أن يدفعنا إلى القول

---

(1) انظر: الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون: ص٧

بعدم اهتمام هؤلاء العلماء الغربيين بتراثنا اللغوي العربي، فإن اعتراف هؤلاء العلماء الغربيين بتفوق الدراسات الصوتية عند العرب، وأنهم لم تسبقهم أمة من الأمم في هذا الشأن سوى الهنود، واعترافهم بجهود العلماء العرب، وتصنيفاتهم الجبارة في مجال الدراسات المعجمية، وأنه لم يسبقهم في هذه الدراسات سوى الصينيين، لدليل أكيد على فعالية هذا التراث ومنهجيته.

فهذا هو العالم اللغوي المستشرق "برجشتراسر يقول عن تفوق العلماء العرب في مجال الدراسات الصوتية أنه: "لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان: العرب والهنود"، ويقول اللغوي الإنجليزي فيرث: "لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت في أحضان لغتين مقدستين: العربية، والسنسكريتية"، ويذكر د/ تمام حسان أن العلماء العرب قد أجادوا في دراسة مستوى الصرف إجادة ما تزال تستحوذ إعجاب اللغويين في مختلف العالم، حيث يقول: "وهذه الشعبة من دراسة اللغة، وإجادة القول فيها، أفردت الصرفيين العرب بمكان لا يدانيه أي مكان آخر في عالم اللغويين قديما وحديثا، ولا يزال كشفهم عن النظام الصرفي موضع الإعجاب والاحترام، وسيظل دائما كذلك في نظر اللغويين في مختلف أنحاء العالم"[1].

كما أشار روبنز Robins إلى أهمية الفكر اللغوي العربي إشارة جديرة بالاعتبار، حيث يؤكد أن أي باحث لا يستطيع أن ينكر ما قدمه العرب من دراسات قيمة للغتهم العربية، بل إنهم أثروا على الأعمال اللغوية والتفكير النحوي عند اليهود في دراساتهم عن العبرية، وذلك بعد اختلاطهم بالعرب بعد انتشار ا لإسلام وبعد بداية التأليف العلمي العربي[2].

لقد جعل النحاة اليهود النموذج النحوي للغة العربية أساسا لوضع قواعدهم العبرية، وأنهم جعلوا النماذج العربية المتنوعة في التأليف المعجمي، أساسًا ونموذجًا يحتذى في وضع المعاجم العبرية، ويعد سعديا الفيومي (ت٩٤٢م) المولود في مصر من أشهر علماء اليهود الذين اعتمدوا على الدراسات العربية، فقد ألف معجما سماه: "أجرون"، كما جمع رسائل نحوية بلغت نحو اثنتي عشرة رسالة بعنوان: "كتب في

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ص١٥

(٢) علم اللغة نشأته وتطوره: ص٣٧

اللغات" كما أنه ناقش الأصوات الحلقية في سياقاتها المختلفة في مؤلفه: "كتاب الخليقة"، كما أن عالما لغويا يهوديا آخر، هو "يهودا بن جيوج" قد تأثر هو الآخر بالنحو العربي، وله في ذلك دراسات قيمة في اللغة العبرية، تتجلى فيها هذا التأثير[1].

والحق أننا لا نعدم عددا من العلماء اللغويين الغربيين الذين درسوا الفكر اللغوي العربي، بل إنهم ألفوا لذلك أعمالا خصصوها لذلك، فهذا هو "برجشتراسر" يؤلف كتابا بعنوان: "التطور النحوي"[2]، وذاك هو اللغوي "يوهان فك" يؤلف كتابا بعنوان: "العربية"[3]، كما أن "رابين" يؤلف كتابا بعنوان: "لهجات غربي شبه الجزيرة العربية القديمة"[4]، وغيرها من المؤلفات العديدة التي قام بدراستها وتحقيقها وإلقاء الضوء على محتوياتها النفيسة للفكر اللغوي العربي، عديد من العلماء اللغويين الغربيين.

إن افتقار المجتمع العربي إلى التخصص اللغوي أمر يرتدي أهمية خاصة، فهو يؤكد أن إنقاذ ما يشكل قيما لغوية علمية من الإهمال، لا يمكن أن يتم إلا من خلال إعمال البحث العلمي الرصين في مجال التراث اللغوي من منطلق لغوي حديث.

ولعلنا في هذا الإطار من الربط بين تراثنا اللغوي ومناهج البحث اللغوي الحديث، لا نعدم من الباحثين العرب من يولي اهتمامه في هذا الاتجاه، على الرغم من ندرتهم حيث نجد الدكتور/ تمام حسان يقدم بحثا بعنوان: "تعليم النحو بين النظرية والتطبيق" في مجلة المناهل بالمغرب في العدد ٧ لسنة ١٩٦٧م، ص١١٢، وما بعدها، كما أنه قدم بحثا آخر بعنوان: "إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا" في ندوة اللسانيات واللغة العربية بتونس ١٩٧٨م، وكذلك كتاب: البيان في روائع القرآن، القاهرة، ١٩٩٣م كما قدم الدكتور/ محمود عبد السلام شرف الدين بحثا بعنوان: "التركيب ومدى عناية اللغويين العرب بدراسته" العدد ١٣ لسنة ١٩٧٦م، ص١٠٨، وما بعدها، ولسنا نعدم في هذا السبيل بعض المؤلفات، نذكر منها كتاب: "النحو العربي والدرس

---

(1) انظر: البحث اللغوي عند العرب ٥٠-٥٧

(2) التطور النحوي للغة العربية: للمستشرق برجشتراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه: د. رمضان عن التواب، القاهرة، ١٩٨٢م

(3) العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب: ليوهان فك، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٨٠

(4) قام الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أيوب بترجمة هذا الكتاب تحت عنوان: " اللهجات العربية الغربية القديمة" الكويت، ١٩٨٦م

الحديث، بحث في المنهج"، للدكتور/ عبده الراجحي بيروت، ١٩٧٩م، وكتاب: "نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث" للدكتور/ نهاد الموسى، بيروت، ١٩٨٠م، كما أن كتاب: "الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب" للدكتور: تمام حسان ١٩٨٢م، يعد إسهاما في هذا السبيل، وكذا كتاب: "قواعد تحويلية للغة العربية" للدكتور/ محمد علي الخولي، الرياض، ١٩٨١م، وكتاب: "العربية وعلم اللغة البنيوي" للدكتور/ حلمي خليل، وكتاب: "الألسنة التحويلية وقواعد اللغة العربية" بيروت، ١٩٨٢، وكتاب: "الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون" بيروت، ١٩٩٢م، وكتاب: "بحوث ألسنية عربية" بيروت، ١٩٩٢، وجميعها للدكتور/ ميشال زكريا، تعد –أيضا– إسهاما في هذا السبيل.

هذه المؤلفات وغيرها تعد إسهاما جليلا في إلقاء الضوء على مدى التقاء الفكر اللغوي العربي القديم أو اختلافه مع مناهج البحث اللغوي الحديث. إن مثل هذا العمل يعد مطلبا ملحًّا، وأمرا ينبغي أن تتبناه المؤسسات العلمية والمجامع اللغوية والهيئات المتعددة المعنية بدراسة تراثنا العربي.

فالجهود التي ذكرناها قد توصل العديد من أصحابها إلى نتائج جد مهمة، حيث أثبتت بعض هذه الدراسات أن الفكر اللغوي العربي له فضل السبق في كثير من القضايا والمباحث اللغوية التي توصلت إليها مناهج البحث اللغوي الحديث، سواء أكانت هذه المناهج الوصفية البنيوية التي تربعت على عرش الدراسات اللغوية الحديثة، زمنا ليس بالقصير، منذ أن أصل معطياته اللغوي السويسري "دي سوسير" في أوائل القرن العشرين، أم كانت هذه المناهج "التوليدية التحويلية" أحدث المناهج اللغوية الحديثة وأدقها، والذي نال من الشهرة والذيوع والاهتمام قدرا كبيرا في الربع الأخير من القرن العشرين[1].

(١) انظر: كتابنا: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، حيث تفصيلات وتحليلات وتطبيقات على مسألة:
١– مفهوم اللغة عند العلماء العرب
٢– الجهود النحوية عند العلماء العرب.

الدراسات السامية المقارنة

لقد حظيت الدراسات السامية المقارنة باهتمام العلماء والباحثين، وبذلوا في مجال عملها جهودا كبيرة، وقطعوا أشواطا ليست بالقصيرة، وحققوا نتائج باهرة، كان لها آثارها الخطيرة في كشف اللثام عن كثير من العلاقات وصلات القربى من الخصائص اللغوية والسمات المختلفة التي تربط هذه اللغات السامية فيما بينها، وبما يؤكد كونها تمثل فصيلة لغوية معينة.

وينبغي أن نذكر بان مجال العمل في الدراسات السامية المقارنة، ليس بالأمر الميسور، ولعل هؤلاء الباحثين يدركون من أول وهلة مدى الصعوبة؛ التي تواجههم، عندما يحاولون الرجوع بظاهرة لغوية معينة في هذه اللغات السامية إلي أصلها، فهذه " اللغات السامية ليست حلقات متصلة في سلسلة لغوية واحدة، يمكن اعتبار إحداها أقدم اللغات، والثانية أحدث منها، وهكذا، بل هي على العكس من ذلك، تعد خلفا للغة واحدة، هي ما اصطلح العلماء على تسميته " باللغات السامية " وهذه اللغة لا وجود لها الآن في صورة وثائق أو نقوش مكتوبة[1].

إن دراسة اللغات السامية على حدة دراسة وصفية أو تاريخية أمر يسير، وهى دراسة تؤتى ثمارها وتحقق أهدافها إلي أقصى حد، في حين – كما أسلفنا – في هذه اللغات، يعد أمرا بالغ الصعوبة. وكما يقول نولدكه فإن محاولة العلماء استخدام الطرق العلمية، التي وظفوها في ضوء معطيات علم اللغة الحديث في إطار المنهج المقارن، للوصول إلي أن هذه الأصول، لم تظفر بالحقائق الكاملة، حيث يقول: لكن لا يجوز للمرء أن يطلب الكثير في هذه الناحية، فإن سير تطور اللغات غامض في تفاصيله بالنسبة لنا غالبا، وذلك في المرحلة السابقة للمرحلة، التي وصلت إلينا منها وثائق لغوية[2].

لقد كان لاكتشاف اللغة السنسكريتية في القرن الثامن عشر أثر كبير في ظهور علم اللغة المقارن، مما حفز علماء اللغات السامية في اختيار مصداقية هذا المنهج المقارن،

---

(١) انظر: المدخل إلي علم اللغة ٢٠٠

(٢) اللغات السامية، نولدكه ١١

الذي آتت أكله، في ظهور الفصيلة اللغوية: الهندواوربية، وقاموا بتطبيق أسسه وقواعده على مجموعة اللغات السامية، فأجروا المقارنات اللغوية فيما بين تلك اللغات، في محاولة للوصول إلي أصولها الأولى، وقد أطلقوا اسم " اللغة السامية الأم " وأنهم يدركون– تماما – أن هذه التسمية، ليس لها من الواقع الفعلي سوى التسمية، وأنها ما تزال افتراضا قابلا للتعديل في أي وقت، يمكن فيه أن تكشف البحوث والدراسات عن الوجود الحقيقي لها. ويقرر هذه الحقيقة الحالية نولدكه بقوله:

" وإننا نريد أن نوجه سؤالا لمن يظن أن إعادة البناء الكامل للغة السامية الأولى، ولو بالتقريب، أمر ممكن والسؤال هو: هل يستطيع أحسن العارفين باللهجات الرومانية كلها (الايطالية والفرنسية والاسبانية) أن يعيد بناء الأصل القديم لهذه اللهجات، وهو اللاتينية، لو فرض أنها غير معروفة الآن؟"[1].

جهود العلماء في الدراسات السامية المقارنة :

أولاً: العلماء العرب:

لقد كان للعلماء اللغويين العرب القدامى جهود في مجال الدراسات اللغوية المقارنة، على الرغم من محدودية تلك الجهود. ولعل من هؤلاء العلماء العرب القدامى الذين فطنو إلي العلاقة بين اللغة العربية وأخواتها من اللغات السامية هو: الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) حيث أدرك العلاقة بين اللغة العربية و اللغة الكنعانية حيث يقول: " وكنعان بن سام ابن نوح، ينسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية"[2].

أما أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) فإنه كان يعرف اللغة السريانية، وذكر أداة التعريف فيها، وهى الفتحة في أواخر كلماتها[3].

ومن هؤلاء العلماء العرب الذين أدركوا هذه اللغات السامية ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) وتعرَّف على ما بينها من علاقات وصلات قربى، وذلك بقوله: من تدبر

---

(١) اللغات السامية، ١١

(٢) العين، للخليل بن احمد ٢٣٢/١

(٣) انظر: الزينة في الكلمات الإسلامية، لأبي حاتم الرازي ٧٧/١

العربية و العبرانية والسريانية، أيقن أن اختلافها، إنما هو من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم وأنها لغة واحدة في الأصل[1].

أما الإمام السهيلى (ت ٥٨١هـ) فإنه يقول: " وكثيرا ما يقع الاتفاق بين السرياني و العربي أو يقاربه في اللفظ "[2]. كما أن أبا حيان الأندلسي (٧٥٤هـ) قد عرف اللغة الحبشية، وكان على دراية بالعلاقة بينها وبين العربية، فقد ألف فيها كتابا سماه: جلاء الغبش عن لسان الجيش، قال عنه: " وقد تكلمت عن كيفية نسبة الحبش. في كتابنا المترجم عن هذه اللغة، المسمى: بجلاء الغبش عن لسان الحبش. وكثيرا ما تتوافق اللغتان: لغة العرب ولغة الحبش في ألفاظ، وفي قواعد من التراكيب، نحوية، كحروف المضارعة وتاء التأنيث وهمزة التعدية "[3].

ثانياً: العلماء الآراميون والسريان:

كان للغة الآرامية ولعلمائها من الآراميين والسريان أثر كبير في تدعيم الثقافة العربية، وكانت لتلك اللغة تأثير باعتبارها حلقة اتصال بين اللغة العربية واللغة اليونانية، حيث اطلع العلماء العرب المسلمون على الفلسفة الإغريقية بواسطة هذه اللغة الآرامية ولهجاتها، وما قام به علماؤها من نقل للثقافات والعلوم اليونانية والإغريقية.

تعد اللغة الآرامية واحدة من اللغات السامية الغربية التي تشتمل على اللغات الفينيقية والرهاوية والفلسطينية والقبطية والمندعية، ولعل أشهرها اللغة الرهاوية ولغة حران. التي كتب بها كتابها الأوائل أمثال: ابن ديصان (ت ٢٢٢م) ويعقوب مزهاد (ت ٣٤٥م) وافرام السرياني (ت ٣٩٧م) وربولا الرهاوى (ت ٤٣٠م)[4] فقد ذكر الأب هنرى لامنس اليسوعى مدى تأثير اللغة الآرامية في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات حيث يقول: " ومن عجيب الأمور أن انتشار لغة الآراميين، بلغ على عهد السجلوقيين مبلغا عظيما، فأصبحت اللغة السائدة في كل آسيا السامية، أعنى في سوريا وما بين

(١) الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم ٣٠/١
(٢) التعريف والإعلام ١١
(٣) البحر المحيط ١٩٢/٤
(٤) فقه اللغة المقارن ٢٤٧

النهرين وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب، وكان المسلمون يدرسونها لكثرة فوائدها، وقد كتب بها الأرمن مدة قبل انتشار الأرمنية وحروفها. وقد بلغ امتداد هذه اللغة إلي أقاصي الشرق في الصين شمالا، وفي الأقطار الهندية جنوبا، كما أنها بلغت جنادل النيل، فلا تظن أن لغة أخرى حتى ولا اليونانية، جارت السريانية في اتساعها اللهم إلا الانكليزية في عهدنا "[1].

لقد اجتهد العلماء السريان في تسجيل لغتهم والتأليف في قواعدها ونحوها، خوفاً عليها من الاندثار بسبب اختلاطهم بغيرهم من الأمم، وبخاصة الأمم الإسلامية، التي تتكلم اللغة العربية، التي تغلبت عليها في المدن، وما جاورها، بسبب كثرة المتكلمين بالعربية، وأنها لغة العقيدة والدين الإسلامي.وعلى الرغم من انزواء اللغة السريانية بل اندثارها إلا أن بعض الأماكن المنعزلة، التي لم يصل إليها الفتح الإسلامي، قد حافظت على لغتها، وما يزال هؤلاء يحافظون على لغتهم، ومن أشهر هذه الأماكن قرى معلولا ونجعة وجب عدين في شرق دمشق، وجبال طور عيدين وقرى آشور وجبال كردستان وزاخو، والجانب الغربي من بحيرة أورمية[2].

ويعدُّ الأسقف يعقوب الرهاوى (ت ٧٠٨م) هو أول من ألف في النحو السرياني، وكذلك يوسف الاهوازى (ت ٨٥٠م) الذي عمل أستاذا بمدرسة نصيبين، وجاء من بعده أبو زيد حنين بن إسحاق (ت ٨٧٣م) وإيليا الفيرهانى (ت ١٠٤٩م) وابن العبري الشهيد (ت ١٢٦٨) صاحب كتاب: (كتابا وحميا) أي: كتاب الأشعة.. وقد أفاد من هذا العالم نحاة الموازنة ومنهم: العاقورى (ت ١٦٤٨م) وإسحاق الشدراوي (ت ١٦٦٣م) وإبراهيم الحاقلاني (ت ١٦٦٤م) والخورى بطرس التولأوي (١٧٤٥م) ويوسف السمعاني (ت ١٧٦٨م) والأب نعمة الله الكفري (ت ١٩٠٧م) والمطران يوسف دريان (ت ١٩٢٠م) والأب جبرائيل القرداحى، وأما غير الموازنة فمنهم المطران: يوسف داود السرياني (ت ١٨٩٠م) صاحب كتاب: اللمعة الشهية، والمطران: يعقوب أوجين منًا الكلدانى (١٩٢٨م)، أما الذين عنوا واهتموا بجمع اللغة السريانية وشرحها وترتيب

(١) مجلة المشرق ٧٠٥-٧٠٧سنة ١٩٠٣م
(٢) انظر: فقه اللغة المقارن ٢٤٨

أبجديتها، نذكر منهم: أبو يحيى زكريا المرزى (ت ٨٩٩م)، وأبو الحسن بن على (٩٠٣م) وأبو الحسن بن بهلول (٩٦٣م) وجورجيوس السداني الماروني، صاحب كتاب المنارة والقرداحى، صاحب اللباب[١].

أما عن علماء المشرق الذين ألفوا في اللغة الآرامية: محمد بن عطية الابراشي، والعناني وليون محرز، حيث ألفوا كتاب: المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها، ولم يعتمدوا في تأليفه على مؤلفات شرقية[٢].

ويعدُّ الخط الفينيقي هو الخط الآرامي، الذي كتبت به المؤلفات والكتب الآرامية التي عثر عليها في شمال أنطاكية وفي خرائب بينوي وجزيرة أسوان بمصر، ويصل أقدم نصوصها المكتوبة إلي حوالي القرن الثامن قبل الميلاد. واستمر الآراميون يستعملون هذا الخط الفينيقي حتى أوائل القرن الأول قبل الميلاد. ثم تغير هذا الخط على يد الآراميين في الرها وبابل وتدمر والشام وفلسطين وحوران، حيث تخير كل منهم خطا لهم، يختلفون به عمن سواهم. ويعدُّ الخط الرهاوي المسمى باللغة اليونانية: أسطر نكيلا، ومعناه: المستدير، هو أجمل هذه الخطوط، وقد شاع استعماله في الجزيرة ما بين النهرين والعراق والشام ولبنان، وقد أُخذ الخط العربي الكوفي عنه. ثم تفرع هذا الخط الرهاوى بدوره إلي خط عربي في نحو القرن السابع الميلادي، وهو المعروف بالخط السرياني، وتفرع عن الشرقيين إلي الخط الشرقي المعروف بالكلداني في القرن الثامن الميلادي، وهو شبيه بالخط الرهاوي[٣].

لقد ابتكر العلماء الآراميون نظامًا للحركات في لغتهم عبارة عن نقاط، وقد تم ذلك في حوالي القرن السادس الميلادي، وجاءت هذه الحركات في شكل نقاط على أيدي النحاة الشرقيين، في حين استعار العلماء الغربيون الحركات من اللغات اليونانية وحركاتها الخمسة، حيث استنبطها: تارفيلوس الرهاوى الماروني (ت ٧٨٥هـ) عندما ترجم الإلياذة والأوديسا إلي الآرامية.

ونحن نعلم أن أبا الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٥هـ حوالي (القرن السادس الميلادي) قد قام بابتكار نقاط العربية، أو نقاط الإعراب، تلك النقاط الحمراء المعروفة،

---

(١) انظر: فقه اللغة المقارن ٢٥٠-٢٥١

(٢) انظر: فقه اللغة المقارن ٢٥١

(٣) انظر: فقه اللغة المقارن ٢٥١

التي قام بها وضبط بهـا المـصحف الـشريف لـيحفظ بـذلك القـرآن الكـريم مـن اللحـن والانحراف في تلاوته أو في قراءته.

ولا نستطيع الجزم بأن علمـاء النحـو الـسرياني قـد أخـذوا هـذه النقـاط، لإحكـام حركات اللغة الآرامية ووضع حركات الإعراب لها. وبخاصـة عنـد العلمـاء الـشرقيين. وكذلك فعل العلماء العبرانيون.

أما الصنيع الجليل الذي قام به الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) حـوالي القرن الثامن الميلادي من وضـعه علامـات الإعـراب المعروفـة الآن، الـتي اقتطعهـا مـن حروف المد واللين: الألف والـواو واليـاء، وكـذا رمـز الهمـزة والمـد والـشدة والـسكون، فجميعها من صنيع الخليل وابتكاره، حيث جعلها تابعة للحروف الـصامتة، وليـست مستقلة عنها!!

ويرى د/ إبراهيم السامرائي أن اللغـة الآراميـة هـي نفـسها اللغـة الـسريانية، وان السريانية ليست لهجة متفرعة عن الآرامية، كما يقول بذلك بعض البـاحثين المـشرقين والمستشرقين، ويذكر نصا في تفسير سفر دانيال لابن العبري نصه: " وتكلم الكلـدانيون أمام الملك بالآرامية"، ثم يقول: "وتكلم الكلدانيون بالآرامية أي السريانية "[1].

جهود المستشرقين في اللغات السامية المقارنة:

بدأ المستشرقون دراسـاتهم للغـات الـسامية في أحـضان اللاهـوت، حيـث أدركـوا العلاقة بين اللغة العبرية والعربية والسريانية، ويعدُّ شولتنس Schultens في هولندا، في القرن الثامن عشر الميلادي من أوائل من قامو بدراسات مقارنة بين اللغـة العبريـة و العربية. ثم تبعه كل من اللغوي: ايفالد Ewald و ألسهوزن Olshausen اللذين ألفا في اللغة العبرية مستخدمين اللغة العربية في المقارنة، وقد فعـل مثـل ذلـك المستـشرق: نولدكـة Noldeke في اللغـة الآراميـة أمـا ولـيم رايـتW.wright فقـد ألـف كتابـاً بعنوان: محاضرات في النحو المقارن للغات السامية سنة ١٩٨٠:

Lecture on the comparative grammar of the semitic languages،

كما ألف كل من: لاجارد Lagarde، وبارت: Bart كتاباً بعنوان: بحوث في أبنيـة الأسماء السامية في سنة ١٩٨١م:

---

(١) انظر: فقه اللغة المقارن ٢٥٣

Untersuc hungen ther die semitische Nommalbildung، كما ألف: لندبرج Lindberg كتاباً بعنوان: النحو المقارن للغات السامية Vergleichende Grammatik der semitischen sprachen، كذلك ألف: تسمّرن Zimmern، كتاباً بعنوان: النحو المقارن للغات السامية، نشر في برلين سنة ١٨٩٨م.

ومع بدايات القرن العشرين، يظهر أشهر المستشرقين في اللغات السامية المقارنة على الإطلاق، انه: كارل بروكلمان: C، Brockelmann، حيث ألف كتاباً ضخماً في هذا الصدد سماه: الأساس في النحو المقارن للغات السامية:

"Grundriss des Nergleichen den semitischen"، نشر في جزأين، يشتمل الجزء الأول على المستوى الصوتي والمستوى الصرفي (أبنية الأسماء و الأفعال) في اللغات السامية، في حين يشتمل الجزء الثاني على المستوى التركيبي في اللغات السامية، ويتميز هذا الكتاب بما يتضمنه من موضوعات وقضايا جديدة لم يسبقه فيها أحد من المستشرقين، وقد نشر الجزء الأول من هذا الكتاب الضخم في برلين سنة ١٩٠٨م، ونشر الجزء الثاني في برلين أيضا في سنة ١٩١٣م[١]. ثمة كتابان آخران لبروكلمان صغيران عن الكتاب السابق، خصصهما في دراسة الأصوات و الأبنية في اللغات السامية المقارنة، ويسمى الكتاب الأول:

فقه اللغات السامية: Semitische sprachwissenschaft، وقد نشر في ليبتزج عام ١٩٠٦م. أما الكتاب الثاني، فيسمى مختصر النحو المقارن للغات السامية: **Kurzgefasste vergleichende Grammatik der semitischen sprachen**، نشر في برلين سنة ١٩٠٨ م.

وتعد المؤلفات التي قام بها المستشرقون بعد بروكلمان عالة عليه، ومن هؤلاء المستشرقين الذين أفادوا من بروكلمان، المستشرق: أوليرى DelacyOlaery، الذي ألف كتابًا بعنوان: النحو المقارن للغات السامية[٢]:

---

(١) انظر: المدخل إلي علم اللغة ٢٠٢-٢٠٣

(٢) ترجمة إلي العربية د. رمضان عبد التواب، ونشرته جامعة الرياض سنة ١٩٧٧م

Comparative Grammar of the semitic languages، الذي نشر سنة ١٩٢٩م، ومنهم – أيضا – المستشرق الألماني: برجشتراسر، الذي ألف كتابًا بعنوان: المدخل إلي اللغات السامية:

Eimfuhrung in die semitischen sprachen، وقد نشر سنة ١٩٢٨م، كما قام بإلقاء محاضرات في الجامعة المصرية الأهلية (جامعة القاهرة حاليًا) عن التطور النحوي، مع مقارنة اللغة العربية باللغات السامية الأخرى[١]، وقد تم طبع هذه المحاضرات في كتاب بعنوان: "التطور النحوي للغة العربية" القاهرة سنة ١٩٢٩م كما ألف موسكاتي: S Mosscati، كتابًا بالايطالية بعنوان: محاضرات في اللغات السامية Lezioni di linguistica semitica، وقد نشر هذا الكتاب بروما سنة ١٩٦٠م.

وقام موسكاتي بترجمة هذا الكتاب إلي الانجليزية بالاشتراك مع انطوان شبيتالر A,Spitaler وإدوارد ألندورف E, ullendorf، وفولفر امفان سودن **von W Soden**، وتم نشره تحت عنوان: " مقدمة في النحو المقارن للغات السامية:

An introduction to the comparative Grammar of the semitic languages، وقد تم نشرة في سنة ١٩٦٤م[٢].

لقد أولى المستشرقون في أوربا اهتماما كبيرا بالدراسات في اللغات السامية المقارنة، فإلي جانب ما سلفناه من مؤلفات وكتب كثيرة فان مقالات تتجاوز المئات، نشرها أصحابها في المجلات اللغوية، سواء في أوربا أم في أمريكا وانه على الرغم من اهتمام المستشرقين بالدراسات المقارنة للغات السامية، فإن هذا المجال من الدرس اللغوي المقارن، لم يحظ باهتمام العلماء العرب المعاصرين، نظرا لما يتطلبه هذا المجال من معرفة كاملة بالغات السامية بأنواعها المختلفة، على شتى مراحل نشأتها وتطورها وهو أمر عسير المنال إلا لقلة من المهتمين من الدارسين العرب !

---

(١) قام د. رمضان عبد التواب بتصحيح ما ورد في هذا الكتاب من أوهام، واثري الكتاب بتعليقاته وتعقيباته، ونشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٩٨١م .

(٢) انظر: المدخل إلي علم اللغة ٢٠٤

بين اللغة العربية واللغات السامية :

تمهيد:

يذكر فندريس أن مقارنة قواعد اللغات السامية، ينبغي أن تبدأ حقا باللغة العربية، مع ضرورة مراعاة التفاصيل في كل منها متى توفرت لنا مادة لغوية موجودة ومعروفة، كما يذكر أن اللغة العبرية في هذه الحالة يمكن أن تكون صالحة في إعادة بناء اللغة الأم المشتركة، أكثر من اللغة الحبشية، لكننا لا يمكن أن نقلل من قيمة اللغة الآرامية والآشورية، وكذلك اللهجات المتفرعة عن هذه اللغات أو حتى تلك اللهجات الحديثة، فإن ذلك كله، يمكن أن يقدم المادة اللغوية القيمة لمثل هذا العمل في التوصل إلي محاولة الوصول إلي اللغة السامية الأم .

كما يذكر فتدرس بأنة إذا ما ثبت اتفاق اللغات السامية في أصولها الأولى منذ زمن بعيد وذلك قبل أن يبرهن بوب Bopp علميا على وجود العلاقة بين اللغات الهندوأوربية، فان مسألة الوصول إلي قواعد مقارنة دقيقة في موضوع اللغات السامية، بحيث تعطى نتائج ثابتة، فهذه المسألة ليست إلا واجبا صعبا[1].

أما نولدكه فإنه يشك في أن الوقت قد حان لمثل هذه الأعمال، على الرغم من وجود بعضها، لكنه يمكن القول بضرورة وجود كثير من الأبحاث الصغيرة المتقنة وأن ما يعوق البحث بوجه عام، أن نصوص اللغات السامية المتاحة لنا، وتقع بالفعل تحت أيدينا، لا تعبر عن أصوات تلك اللغات تعبيرًا كافيًا، ويذكر بأنه يعتقد بان دراسات الجملة في اللغات السامية دراسة مقارنة، إنما هي أسهل وأيسر من دراسة الأصوات و الصيغ[2].
أما انطوان ماييه، فإنه يشدد على ضرورة أن يستند المنهج المقارن إلى بعض الأسس والمبادئ التي ينبغي أن تصاغ صياغة صريحة، لما يحدث من أخطاء ترتكب في علم اللغة، بسبب استخدام وسائل المنهج المقارن في حالات، لا يمكن أن تطبق فيها مبادئة! وهو يحدد هذه المبادئ في مبدأين هما:

أولهما: أن اللغات الإنسانية تصدر عن تغيرات عناصرها الموجودة، لعمل خلق جديد، فمن يريد أن يضع اسما لشيء جديد، يستعير عادة عناصر الكلمة من لغته أو من لغة أجنبية، وذلك كاللفظة الألمانية: FEMSPRECHER، بمعنى: تليفون، فأنها مأخوذة من كلمة FEM، بمعنى بعيد ن وكلمة: SPRECHER بمعنى متحدث ومن ثم

---

(١) انظر: اللغة، لفندريس ٢٩٢– ٢٩٤

(٢) انظر: اللغات السامية، لنولدكة ١٥ – ١٦

فإنه إذا ثبت أن بعض الكلمات، لا يمكن أن تعد موجودة من العدم على نحو ما، بحيث لا نجد لها أصلا اشتقاقيا، فإنه من المسلم به أن لكل طريقة خاصة للنطق، وكل نظام نحوى عام قيمة تعبيرية لا تنكر، ذلك أنها كلمات أشبه بأسماء الأصوات، وتدخل في فصيلة من الكلمات، تعتبر اليوم ثابتة النظام والقواعد.

فكلمة: KODAK تصور لنا صورة، هي صورة سمعية، حتى كأننا نحس صوت المفتاح، الذي يفتح الآلة، لالتقاط الصورة ويغلقها، فهل أحس مخترع الكلمة هذه القيمة، وأراد أن يحاكيها؟ إن هذا جائز، ولكنه غير ضروري، غير أن هناك دائما اتفاقاً غير شعوري، يقوم بين الأصوات والأشياء، فالانطباع الذي تحدثه كلمة غير معروفة، يمكن أن يختلف من سامع إلى آخر، ولكن هناك انطباعا على كل حال، إن قليلاً وإن كثيراً. وإنما يقاس الفرق بدرجة حساسية السامع أو خياله، أو مجرد حالته العصبية، فالذي يطلق عليه اسما مصنوعا من أوله إلى أخره، على شيء أيًّا كان، قد يكون مستهديا بتوافق نفسي، بين الأصوات والشيء نفسه. ويذكر أنطوان ماييه: إن كلمة "كوداك" السابقة تتمشى مع قواعد اللغة التصويرية، فالصوامت التي تحتويها الكلمة، تحتوى بدورها على نفس الحركة الصوتية، والحركات فيها نفس الجرس الذي لآلة التصوير.

<u>ثانيهما</u>: يذكر أنطوان ماييه أنه ليس ثمة بين الاصطلاح اللغوي والشيء الذي وضع له هذا الاصطلاح أية علاقة طبيعية، وإنما هي علاقة تقاليد وهذا معناه انه ليس هناك ارتباط طبيعي بين الاسم والمسمى. فالضمائر: " أنا " و " أنت " و" هو " مثلاً ليس فيها شيء يدل بذاته على احد الأشخاص الثلاثة، وإنما تستعمل لأنه في جماعة بشرية ما، جرت التقاليد بأن تستعمل تلك الصيغ، ومن ثم نرى أكثر علماء اللغة حنكة، عاجزًا كغيره من الناس أمام خطبة أو نص مكتوب بلغة مجهولة جهلا تامًا[1].

وهكذا يقول ستيفن أولمان، وهو يؤكد بأن كلماتنا رموز تقليدية ونحن نكتسب معاني هذه الكلمات، في طفولتنا المبكرة، ولكن بطريق التعليم، إذ لا يوجد في اللفظ ما ينبئ عن المدلول، بالإضافة إلى عدم وجود أية علاقة بين كلمة: "منضدة" وما تدل عليها مثلا. وهو يستدل على عدم وجود مثل هذه العلاقة بين الدال (اللفظ) والمدلول (الشيء) بأمرين: الأول: يتمثل في نوع الكلمات، واختلافها في اللغات المختلفة. والثاني: يتبلور في الحقائق التاريخية، فلو كانت معاني الكلمات كامنة في أصواتها، لما

(١) انظر ك علم اللسان، انطوان ماييه ٤٥٥ – ٤٦٢

أمكن أن تتغير هذه الكلمات في لفظها ومدلولها، تغيرا يستحيل ربطة بالوضع الأصلي لها[1].

ويقرر ماريو باى أن " اللغة المتكلمة تعتمد إذن على الاصطلاح والإتقان الجماعي، مهما قل عدد الجماعة اللغوية، وهذا يضع اللغة حتمًا في قائمة الرموز، مثل عملة النقد الورقية، التي ترمز إلى قيمة شرائية معينة، وتعتمد في قيمتها على العرف والاتفاق بين أفراد المجتمع، لا على قيمتها الذاتية[2].

وبعد.. فتقتضي المبادئ الأساسية في المنهج المقارن القول بمبدأ يتضمن أن التغيير لا يحدث على نحو مشتت غير مطرد، بل يحدث وفقًا لقواعد ثابتة، يمكن أن نصوغها في دقة، إذا تناولنا لغة ما في عصرين متتابعين من تاريخ تطورها، وأن التغير يحدث على نحو مستقل متميز، في كل عنصر من عناصر اللغة الثلاثة: الصوت والصيغة والدلالة[3].

وينبغي أن نؤكد أن التغير في هذه المستويات اللغوية ليس على سواء، في سرعة قبول التغيرٌ ن فالذي يقرره فندريس أن النظام الصوتي، يستقر منذ الطفولة، ويستمر طول الحياة، حيث يحفظ الإنسان هذا النظام الصوتي حتى آخر حياته، سوى ما قد يحدث من غوامض ناتجة عن التعليم، وتعليم لغات أجنبية تؤثر على النطق القومي، وأما النظام الصرفي، فهو أيضا ثابت وثباته يتطلب وقتًا أطول، ولكنة بعد أن يستقر، لا يعتريه تغير يذكر، وإنما يتغير في الانتقال من جيل إلى جيل. فالنظام الصوتي والصرفي إذا ما اكتسبا مرة بقيا طول العمر، وهما يدينان باستقرارهما، إلى استقرار ذهنية المتكلم.

أما المفردات فإنها على العكس من ذلك لا تستقر على حال، إنها تتبع الظروف، فكل متكلم يكْوّن مفرداته من أول حياته إلى أخرها، بمداومته على الاستعارة ممن يحيطون به، فالإنسان يزيد من مفرداته، ولكنه ينقص منها أيضًا، ويغير الكلمات في حركة دائمة، من الدخول و الخروج. ولكن الكلمات الجديدة لا تطرد القديمة دائمًا[4]" أما الصيغ النحوية إذا ما عرضنا لها عبر فترتين متتابعتين من تاريخ اللغة، نجد اتفاقات ومقابلات مطردة[5].

---

(١) انظر: دور الكلمة فى اللغة ٧٠-٧١
(٢) أسس علم اللغة ٤١
(٣) انظر: المدخل إلى علم اللغة ٢١١
(٤) اللغة، لفندريس ٢٤٦ – ٢٤٧
(٥) انظر: المدخل الى علم اللغة ٢١١

نماذج تطبيقية
على الأصوات في اللغات السامية
في ضوء علم اللغة المقارن

obeikandl.com

ثمة سؤال يطرحه برجشتراسر حول العلاقة بين نطق الحرف العربي القديم، ونطق الحروف في اللغة السامية الأم، وهل كانت الحروف التي تنطق في اللغة العربية، في عهد الخليل بن احمد وسيبويه، كما كانت تنطق في عهد اللغة السامية الأصلية أيضا، أم أنها قد تغيرت في نطقها؟ .

ولاشك أن الفرق بين العهدين كبير جدًا، ويمكننا إدراك هذا الفرق إذا ما علمنا أن اللغة الأكادية، وهى اللغة السامية التي كانت سائدة في العراق ونواحيه، في زمان البابليين والأشوريين، التي ترجع وثائقها المسجلة التي وصلتنا من نقوش مكتوبة إلي الألف الرابع قبل الميلاد، وأنها بلا شك تعدُّ أحدث من اللغة السامية الأم بأجيال لا نعرف عددها[1].

ويجيب برجشتراسر عن هذا التساؤل السابق بقوله: " يجب علينا مقابلة حروف اللغات السامية كلها، وهذا عمل لا يمكننا تفصيله الآن، ونكتفي بإيراد نتائجه، وهى أن اللغة العربية، على الرغم من طول الزمان عليها، قبل بروزها في ميدان التاريخ، فقد حفظت الحروف الأصلية حفظا أتم من سائر اللغات السامية الأخرى، ما عدا لغة الكتابة اليمانية العتيقة، أي لغة معين وسبأ إلي آخره[2].

(١) انظر: التطور النحوي ٢٣
(٢) انظر التطور النحوي ٢٣

أولاً – الأصوات الصامتة

١- مجموعة الأصوات الشفوية

تشتمل اللغة السامية الأم – فيما يبدو – على صوتين اثنين شفويين، وهما صوت الباء (B) الانفجاري المجهور، وصوت الباء: (P) الانفجاري المهموس.

أما الصوت الأول (B) الانفجاري المجهور، فهو موجود في جميع اللغات السامية، في العربية والعبرية والآرامية والحبشية والأكادية. ومثاله على الترتيب كلمة: ركبة المشتقة من الفعل: برك، تأتي في العبرية هكذا: bērek̲، وفي الآرامية: burak̲a، وفي الحبشية: berk.

وتتحول الباء الانفجارية في كل من اللغتين: الآرامية والعبرية إلي صوت احتكاكي (b̲ = ڤ) إذا وقعت بعد حركة، وهو أمر سياقي خاص باللغتين، تتحول فيها أصوات: الباء والجيم والدال والكاف والباء والتاء من كونها أصواتًا انفجارية إلي أصوات احتكاكية، بدون أن يتغير المعنى[١].

والصوت الثاني: الباء الانفجارية المهموسة: p فإنه لا يوجد إلا في اللغة العبرية و الآرامية و الأكادية.

وقد تحول إلي صوت احتكاكي مهموس في العربية والحميرية والحبشية فكلمة Pōl في العبرية مثلا تحولت الباء المهموسة فيها إلي فاء، ففي العربية تحولت إلي: فول، وفي الحبشية تحولت إلي fāl غير أن الباء المهموسة في العبرية والآرامية، يتحول أيضا إلي فاء، كما حدث في العربية والحميرية والحبشية، ولكن هذا التحول مرهون بوقوعه بعد حركة، أي أن هذا التحول من قبيل التحول السياقي في اللغتين[٢]

٢- مجموعة الأصوات الأسنانية

أ- الثاء: t̲ وهو صوت أسناني احتكاكي مهموس، كما في العربية في كلمة ثور، تحول في الحبشية إلي s السين، كما في كلمة sor بمعنى ثور، وفي العبرية تحول إلي

---

(١) انظر: المدخل إلي علم اللغة ٢١٣ والتطور النحوي ٢١

(٢) انظر: المدخل إلي علم اللغة ص٢١٤، والتطور النحوي ص٢١

obeikandi.com

شين، كما في كلمة Šōr بمعنى ثور، وكذلك إلي شين في الأكادية، كما في كلمة uruŠ بمعنى ثور، فلم تحتفظ بالثاء السامية الأم سوي العربية والحبشية.

ب- **الذال ḏ** وهو صوت أسناني احتكاكي مجهور، كما في العربية في كلمة: ذكر، وفي الحبشية zakara، وفي العبرية zāḥar وفي الآرامية dḳar تحولت إلي دال، وفي الأكادية zakaru وتوجد الثاء والذال في العبرية والآرامية، غير أنهما فرعان أو تنوعان لفونيم: التاء والدال في ظروف صوتية معينة، وهي أن يقع واحد منهما بعد حركة في مقطعه، فاختلاف النطق لا يؤدى إلي اختلاف المعني، وهو تغيير حادث في اللغتين: العبرية والآرامية[1] وتحولت الذال الآرامية إلي دال

ج- **الظاء: ẓ** وهو صوت أسناني احتكاكي مجهور مفخم كما في العربية في كلمة: ظل، وفي الحبشية Ṣelālōt وفي العبرية Ṣēl وفي الآرامية ṭellālā وفي الأكادية Ṣillu تحولت الظاء في الحبشية والعبرية والأكادية إلي صاد، وتحولت إلي طاء في الآرامية.

٣- مجموعة الأصوات الأسنانية اللثوية

وتشمل اللغة السامية الأم على خمسة أصوات، وهى على النحو الآتي:

أ- **التاء"t"** وهو صوت أسناني لثوى انفجاري مهموس مرقق، في جميع اللغات السامة أيضا، حيث يوجد في اللغة العربية والحبشية والعبرية والآرامية والأكادية.

ب- **الدال "d"** وهو صوت أسناني لثوى انفجاري مجهور مرقق، في جميع اللغات السامية أيضا، حيث يوجد في اللغة العربية والحبشية والعبرية والآرامية والأكادية.

ج- **الظاء "ṭ"** هو صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس مفخم، كما في العربية والحبشية وتحول إلي صاد Ṣ في العبرية والأكادية، كما هو في كلمة Ṣarta في العبرية Ṣirritu في الأكادية، بمعنى: ضرة في العربية، فلم تحتفظ بالضاد السامية الأم سوى العربية والحميرية والحبشية.

---

(١) المدخل إلي علم اللغة ص٢١٩

مجموعة الأصوات الصفيرية والشجرية: (ضمن الأصوات الأسنانية اللثوية)

أ- **السامخ s** وهو صوت في السامية الأم ينطق وسطا بين السين والشين، وقد احتفظت بهذا النطق اللغة العبرية القديمة، والعربية الجنوبية فقط، حيث تغير إلي الشين في العربية الشمالية وفي اللغة الحبشية وفي اللغة الأكادية. كما تحول إلي صوت السين في اللغة الآرامية، وفي اللغة العبرية في عصورها المتأخرة وهو يشبه في العربية المتأخرة النطق العامي لصوت الزاي في كلمتين مختلفتي الأصل في النطق، وذلك في مثل: ذنب وزينب. ومن أمثلتها في العربية كلمة: أسر وفي الحبشية asara‹ وفي الآرامية esar‹ وفي الأكادية esēru بمعنى ربط.

ب- **الزاي z** صوت أسناني لثوي احتكاكي مجهور (صفيري) وهو في العربية في مثل: زرع وفي الحبشيةzar‹a: وفي العبرية في كلمة: zāra‹ وفي الآرامية في كلمة: zar‹a وفي الأكادية في كلمة zēru وقد نشأت الزاي في كل من اللغة الحبشية والعبرية والأكادية متحولة عن صوت الذال

ج- **السين ś** وهو صوت أسناني لثوي احتكاكى مهموس (صفيري) وهي في العربية محولة عن: الشين في مثل كلمة: شيب، وكذا في الحبشية فهي محولة من الثاء في مثل: šeba وهى تمثل الأصل شينا كما هو الحال في اللغة السامية الأم، وبقيت على هذا الأصل في اللغة العبرية في مثل: šeb وفي اللغة الأكادية: šibu، أما في الآرامية في مثل كلمة: Ṣāba فقد تحولت من صوت الصاد Ṣ حيث لم يكن في اللغة السامية سينا، بل كانت نطقا وسطا بين السين والشين وقد احتفظ بهذا النطق كل من العبرية القديمة والعبرية الجنوبية فقط.

د- **الصاد Ṣ** وهو صوت أسناني لثوى احتكاكي مهموس مفخم (صفيرى) في العربية في مثل إصبع وفي الحبشية في مثل: aṢbo‹ ‹وقد نشأت فيها الصاد عن صوت الظاء، وأما في العبرية فقد نشأت من صوت الظاء والضاد في مثل: esba‹ ‹وكذلك الحال في الآرامية في مثل: esb‹a أما في الأكادية ففي مثل: sūbu

هـ الشين: š وهو صوت غاري احتكاكي مهموس (شجري) وقد تحول في العربية صوت الشين السامي الأصيل إلي صوت السين في مثل كلمة: سنّ وفي الحشية: senn وفي العبرية والآرامية والأكادية (السامية) فقد بقيت كما هي شينا فكلمة سن في العربية والحبشية تنطق: šēn في العبرية، وتنطق šennā في الآرامية، وتنطق: innuŠ في الأكادية، أما الشين العربية والحبشية فهي محولة عن: الثاء في كل من العبرية والأكادية[1]. ويذكر برجشتراسر أن صوتي السين والشين كانتا في الأصل ثلاثة أحرف سينا وشينا وثالثا لا نعرف نطقه الأصلي تماما وربما كان شينا جنبية، مخرجها من حافة اللسان، أو شجرية، أما الحبشية، فتوجد في بعض اللهجات اليمانية الدارجة كالمهرية. أما الشجرية فتشبه حرف: ich في اللغة الألمانية.

ويقول أيضا " والنسبة بين هذه الأحرف الثلاثة الأصلية، وبين الحرفين المذكورين في العربية غريبة جدا، فإنا نجد السين بقي نطقها على ما كان عليه... والشين الأصلية صارت شينا عربية. وأما الحرف الثالث: وهو الشين الجنبية أو الشجرية وعلامتها S فصارت شينا، مثاله كلمة: عَشر التي هي: caser في العبرية...، وأما في الأكادية، فصار هذا الحرف شينا مثلما صار في العربية، فعشر فيها cēšru. وفي الآرامية صار أخيرا سينا، بعد ما كان في أول الأمر، كالحرف العبري نطقا... فالسين العربية نشأت من حرفين: السين السامية الأصلية وفي بعض الكلمات والشين في بعضها، والشين العربية نشأت من السين الجنبية أو الشجرية ".[2]

٤- مجموعة الأصوات الطبقية

صوت الجيم: في اللغة السامية الأم: صوت طبقي انفجاري مجهور. حيث تشير مقارنة اللغات السامية كلها إلي أن النطق الأصلي لهذا الصوت، كان نطقا بسيطا بغير ازدواج أو تعطيش –تماما– كما هو الحال في نطق الجيم القاهرية: g فكلمة جمل في العربية الفصحى مثلا، تنطق في اللغة العبرية gāmāl، وفي الآرامية gamlā، وفي الحبشية gamal. لكن اللغة العربية الفصحى قد حولت نطق هذا الصوت الطبقي في

(١) انظر: التطور النحوى ٢٤

(٢) التطور النحوى ص٢٤ وكذا المدخل إلي علم اللغة ٢١٨-٢١٩

اللغة السامية الأم إلي منطقة الغار، أي إنه تحول صوتا حنكيا صلبا، أو على الأحرى من وسط الحنك، كما تحولت صفة كونه بسيطا إلي صوت مزدوج أو مركب، فيما أطلق عليه العلماء العرب (التعطيش) وأن هذا التحول في اللغة العربية الفصحى، تؤيده المقارنة السابقة بين نطقه في اللغة العربية، وفي نطقه في أخواتها من اللغات السامية من جهة، وفي ضوء قانون الأصوات الحنكية من جهة أخري.

حيث يذكر لنا أنوليتمان " أن نطق هذا الحرف الأصلي كان Gīm كما هو الآن في مصر، وكما كان ويكون في اللغات السامية الباقية، مثلا كلمة جمل في العبرية: Gāmāl وفي السريانية: Gamlā مع الألف التي هي أداة التعريف وفي الحبشية: Gāmāl ويوجد Gamala: أي رحم في الأكادية، وتاريخ هذا النطق، كما يأتي في الابتداء تغير نطق: Gīm فصار: Ǧīm قبل حركة الكسرة: فقط ثم نطقت الـ Gīm عند أهل الحجاز Ǧīm إذا وقعت قبل كل الحركات، أي الفتحة والضمة والكسرة .

وكان هذا النطق نطق القرشيين في زمان النبي ﷺ فصار نطق القرآن الشريف"[1]

٥- مجموعة أصوات أقصى الحنك واللهاة

صوتا الكاف والقاف: وهما صوتان أحدهما من أقصي الحنك (الطبق) والآخر من اللهاة، وقد بقي الصوتان على أصلهما في جميع اللغات السامية

أ- الكاف: صوت طبقي (من أقصي الحنك) حنكي طبقي انفجاري مهموس في اللغة السامية الأم. وهو كذلك في جميع اللغات، في اللغة العربية مثل: كنَفَ وكذلك في العبرية في مثل kānāf، وفي الآرامية في مثل: kenpa وكذلك في الحبشية في مثل kanfوفي الأكادية في مثل: kappu بمعنى جناح.

ب- أما القاف: فهو صوت لهوي انفجاري مهموس في اللغة السامية الأم، وفي جميع اللغات السامية، ففي العربية كلمة: قول تنطق في العبرية: ḳōl وفي الآرامية ḳālā بمعنى صوت، وفي الأشورية ḳūlu بمعنى صراخ .

ولسنا هنا بصدد مناقشة العلماء العرب القدامى في وصفهم لصوت القاف بأنه مجهور، وآراء العلماء حول هذا التفسير. وأنهم وصفوا صوتا قد تغير نطقه على ألسنة

(١) مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة- المجلد العاشر، ج١، ص١-٢، ١٩٤٨م .

الناس، وهو صوت الجاف الفارسية الذي يشيع على ألسنة الخطاب في اللهجات الحديثة في الجزيرة العربية ودول الخليج والعراق وصعيد مصر وغيرها من البلدان العربية[1].

٦- مجموعة الأصوات الحلقية

وتضم هذه المجموعة ستة أصوات، وذلك وفقا لتقسيم العلماء العرب القدامى، وهى أصوات الهمزة والهاء من أقصى الحلق، والعين والحاء من وسط الحلق، والغين والخاء من أدنى الحلق[2]. وذلك على خلاف تقسيمها في الدراسات الصوتية الحديثة إلي ثلاثة مخارج وهى: الهمزة والهاء صوتان حنجريان، والعين والحاء صوتان حلقيان والغين والخاء صوتان طبقيان.

أ- الهمزة: صوت حنجري انفجاري مهموس في الوصف الصوتي الحديث في اللغة العربية، وهذا الوصف ليس على سواء في اللهجات العربية القديمة فلم يكن شائعا في كل أنحاء الجزيرة العربية، وإنما كان من خصائص النطق في البيئات البدوية مثل قبائل تميم وما جاورها، وهي التي نزل بلسانها (الهمز) القرآن الكريم. أما البيئة الحجازية (قريش وما جاورها) فإنها كانت تسهل الهمزة، أي إنها كانت تتخفف أو بالأحرى تترك نطقها في أول الكلمة (أو في وسطها أو في آخرها) وقد ذكر ذلك أبو زيد الأنصاري بقوله: " أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون وقف عليها عيسى بن عمر، فقال ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز، إذا اضطروا نبروا، وقال عمر الهذلي: قد توضيت، فلم يهمز، وحولها ياء، وكذلك ما أشبه هذا من باب الهمز[3].

أما بالنسبة للغات السامية فإن ما حدث في اللهجة الحجازية من تسهيل الهمزة، قد حدث مثله تماما في اللغتين: العبرية والآرامية، إذ تسقط فيهما الهمزة في غير أول الكلمة في أغلب الأحيان فإذا كانت الهمزة تنطق في العبرية في مثل: ʾāḵal بمعنى

---

(١) انظر علم الأصوات، ص ١٠٦ وما بعدها .

(٢) انظر الكتاب ٤٠٥/٢ وسر صناعة الإعراب ٨/ ٥٢ – ٥٣. أما الخليل بن أحمد فقد استثنى منها: الهمزة، وجعلها ضمن الأصوات الهأوية أو الهوائية: انظر العين١ / ٥٦

(٣) انظر مقدمة لسان العرب ١٤/١

أكل وفي مثل: ʿāsar بمعنى أسر – ربط، وفي الآرامية في مثل: ʿenā بمعنى: أنا، وفي مثل: ʿarba بمعنى: أربعة، ففي كثير من كلمات هاتين اللغتين نري الهمزة لا تنطق في وسط الكلمة أو في آخرها على الرغم من وجود رمزها في الكتابة، ومثال ذلك في العبرية كلمة Šrō بمعنى: رأس، وكلمة: bārā بمعنى: برأ / خلق، وفي الآرامية في مثل كلمة: bīrā بمعنى: بئر، وكلمة ḥṭā بمعنى أخطأ، ومع ذلك نجد الهمزة تنطق في وسط الكلمة في هاتين اللغتين أحيانا في مثل كلمة: āŠʿal بمعنى: سأل في اللغة العبرية، وفي مثل كلمة: ḳāʿem بمعني قائم في اللغة الآرامية[1].

أما اللغة الحبشية فإن الهمزة لا تسقط فيها سواء أكانت في أول الكلمة أم في وسطها أم في آخرها، ومن أمثلة ذلك كلمة ʿana بمعني: أنا وكلمة malāʿekt بمعنى ملائكة، وكلمة: našʿa بمعنى رفع غير أن الهمزة تؤثر في الحبشية في إطالة الفتحة القصيرة قبلها في نفس المقطع، فيقال مثلا: māʿkala بمعنى في وسط، غير أن بروكلمان يرى أن إطالة الحركة هنا دليل على سقوط الهمزة وإن كانت ثابتة في الخط[2].

وفي الأكادية يرى المستشرقون أنه لم يبق من حروف الحلق فيها سوى الهمزة والخاء وان الحروف الأربعة الباقية وهى: الهاء والعين والحاء والغين فقد تحولت جميعا إلي همزة، في حين يري الدكتور/ رمضان عبد التواب أن أغلب الظن، والأكاديون أقوام ساميون من المستبعد أن ينسوا النطق بهذه الأصوات، وهم أقوام غازية غالبة في منطقة بلاد الرافدين. ومن المرجح عنده أنهم حينما استعملوا الكتابة في لغتهم السامية بالخط السومري الذي كان موجودا في تلك المنطقة التي استعمروها لم يجدوا رموزا في هذا الخط لتلك الأصوات الأربعة، فاستخدموا أقرب الرموز دلالة للتعبير عن نطق هذه الأصوات، تماما كما لو تصورنا أن جماعة من البدو العرب لا يكتبون ولا يقرءون، استعمروا جزءا من إنجلترا ووجدوا أمامهم الخط اللاتيني واستخدموه لكتابة لغتهم العربية فإنه مما لا شك فيه أنهم سيستعيضون بالرمز A مثلا عن رمز صوت

(١) انظر المدخل إلي علم اللغة ص٢٢٤

(٢) انظر فقه اللغات السامية ص٤١، والمدخل إلي علم اللغة ص٢٢٤

العين وبالرمز H عن الحاء والخاء في الكتابة فقط، غير أنهم لن ينسوا نطقهم لهذه الأصوات الأصيلة في لغتهم[1] .

ب – صوت الهاء: وهو صوت حنجري احتكاكي مهموس في العربية الفصحى وفي جميع اللغات السامية، فيما عدا اللغة الأكادية، حيث نابت عنه الهمزة كما أسلفنا ومثاله في العربية كلمة هلك، وفي العبرية كلمة halaḥ وفي الأكادية كلمةalākaʿ : بقلب الهاء همزة.

جـ – صوت العين: وهو صوت حلقى احتكاكي مجهور في العربية الفصحي وفي جميع اللغات السامية، فيما عدا اللغة الأكادية، حيث حولته همزة كما أسلفنا، ومثاله في العربية: عقرب، وفي العبرية aḳrāḇ› وفي الآرامية: eḳḳarbā› وفي الحبشية aḳrāb›وفي الأكادية aḳrābuʿ .

د – صوت الحاء: وهو صوت حلقى احتكاكي مجهور في العربية الفصحي، وفي جميع اللغات السامية، فيما عدا اللغة الأكادية، حيث حولته إلي همزة – كما أسلفنا– ومثاله في العربية: حَدَثَ، وفي العبرية ḥāḏaš وفي الآرامية ḥḏaṯ وفي الحبشية ḥadasa وفي الأكادية edešuʿ بمعنى جديد، حيث تحولت الحاء فيها همزة.

هـ – صوت الغين: وهو صوت طبقي احتكاكي مجهور في العربية الفصحي، وقد حولتها اللغات السامية الأخرى، فقد تحول صوت الغين إلي عين في اللغة العبرية والآرامية والحبشية، كما أنها تقابل الهمزة في اللغة الأكادية، مثال ذلك كلمة: غرب في العربية تقابلها āreḇ› في العبرية وكلمة reḇ › في الآرامية، وكلمة: arba› في الحبشية، أما في الأكادية فتقابلها كلمةerebuʿ : وذلك بتحويلها فيها إلي همزة.

و– صوت الخاء: صوت طبقى احتكاكي مهموس في اللغة العربية الفصحي وفي اللغة الحبشية والأكادية، وقد تحول إلي صوت الحاء في العبرية والآرامية، فمثلا كلمة: خبط في العربية تقابل في اللغة العبرية ḥaḇaṭ وفي اللغة الآرامية ḥbat، وفي اللغة الحبشية ḥafaṭa، وفي اللغة الأكادية ḫabāṭu بمعنى سلب أو نهب[2].

---

(١) انظر المدخل إلي علم اللغة ص٢٢٥

(٢) انظر المدخل إلي علم اللغة ص٢٢٥-٢٢٦

٧- مجموعة الأصوات المائعة

وهذه الأصوات هي اللام والميم والنون والراء، ويطلق عليها العلماء العرب الأصوات المتوسطة، وهى موجودة في جميع اللغات السامية.

أ- صوت اللام: صوت لثوي جانبي مجهور في اللغة العربية الفصحى ومثال ذلك كلمة: لبّ، يقابلها في اللغة العبرية كلمة: lēḇ ويقابلها في الآرامية lebbā: ويقابلها في الحبشية: leb ويقابلها في الأكادية: libbu.

ب- صوت الميم: صوت أنفي شفوي مجهور في العربية الفصحى، ومثالها في العربية كلمة: ملأ التي تقابلها في العبرية كلمة mālē وفي الآرامية كلمة: mlā، وفي الحبشية كلمة: mal›a وفي الأكادية كلمة malū.

ج- صوت النون: صوت لثوى أنفي مجهور في العربية الفصحي، ومثالها في العربية كلمة : نفخ، التي يقابلها في اللغة العبرية كلمة nāfaḥ وفي الآرامية كلمة: nfaḥ وفي الحبشية كلمة: nafḥa وفي الأكادية كلمة napā ḫu: .

د- صوت الراء: صوت لثوى تكرارى مجهور في العربية الفصحى ومثالها في العربية كلمة: رأس التي يقابلها في العبرية: rōš وفي الآرامية كلمة: rīšā وفي الحبشية كلمة: re›s وفي الأكادية كلمةrēšu: .

ونلاحظ أن اللغة العربية قد تحولت فيها الميم التي تقع في الطرف أصلا إلي نون، إلا إذا أريد الاحتفاظ بها طردا للباب على وتيرة واحدة، مثل الأمر: قم من قام، أو لم تعد متطرفة إلا بعد سقوط الحركة الأخيرة من الكلمة مثل الضمير: هُمْ وأصله هُمُ.

ومن أمثلة انقلاب الميم نونا، كلمة: إنْ، في العبرية: im›، وفي الحبشية: ema› وفي الأكادية: šumma

ومن أمثلة ذلك أيضا التمييم الذي يوجد في الأكادية في مثل kalbom وهو يقابل التنوين في العربية في نحو: كلب[1]. ومن أجل هذه العلاقة بين الصوتين الميم والنون، فهما يتواليان في السجع والفاصلة في اللغة العربية دون أن يختل النغم، ومن أمثلة التوالي في الفاصلة قوله تعالي: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ**

(١) المدخل إلي علم اللغة ٢٢٧

بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾ (القلم ٦٨/١– ٤).

أما تواليهما في السجع فمثاله ما ورد في قول الراجز:

والله ما فضلي على الجيران إلا على الأخوال والأعمام

وهذا التوالي بين الميم والنون يمكن أن يفسر لنا بعض الكلمات في العربية القديمة التي وردت بروايتين إحداهما الميم في آخرها والأخرى بالنون، مثال ذلك كلمة الغيم والغين والأجم والأجن للشيء المتغير والقاتم والقاتن للأسود... الخ[١] .

٨- الأصوات المتوسطة: الواو والياء

حيث نجد الوأو في اللغة العبرية والآرامية، وهى تتحول إلي الياء في أول الكلمة، فمثلا الكلمة الحبشية warẖ التي تقابل في العربية أرّخ /ورّخ، وهى تقابل في العبرية yērah̩ وفي الآرامية: yarā وفي الأشورية القديمة: warẖu [٢]

(١) المدخل إلي علم اللغة ٢٢٧ –٢٢٨

(٢) المدخل إلي علم اللغة ٢٢٨

obeikandi.com

ثانياً: الأصوات الصائتة (الحركات)

لم تحظ الأصوات الصائتة (الحركات) باهتمام العلماء القدامي بقدر اهتمامهم بالأصوات الصامتة. حيث إنها لم تكن تكتب في وسط الكلمات، وأهملتها أنظمة الكتابة السامية، على الرغم من كتابتها أحيانا في مثل: كاتب، في اللغة العربية!

تشتمل اللغات السامية على حركات ثلاث قصار، وهي: الفتحة a والضمة: u والكسرة: i وفي حين تشتمل اللغة العربية على ثلاث حركات طوال وهى الفتحة الطويلة: ā والضمة الطويلة: ū والكسرة الطويلة: ī فإن اللغة السامية الأم من المحتمل أن تكون حركاتها الطويلة أربع حركات بزيادة حركة طويلة ممالة: ē وهى التي تحولت في اللغة العربية الفصحى إلي الفتحة الطويلة: ā الخالصة، ومثال ذلك في اللغة العربية كلمة: جار بفتحة طويلة خالصة تعادلها في اللغة العبرية كلمة: gēr، وكذلك كلمة: نار تقابلها في العبرية كلمة: nēr وإن اختلفت في معناها، فهى في العبرية بمعنى: النور.

وكذلك كلمة: "على" حرف الجر في اللغة العربية تقابل كلمة lē› بالإمالة الطويلة بالكسر، أما الحركات القصيرة فإنها يبدو أنها كانت حركتين اثنتين وليست ثلاثا كما يذكر برجشتراسر، ويقول إنها حركة كاملة وهى الفتحة، وحركة ناقصة، أحيانا تشبه الكسرة وأحيانا تشبه الضمة، ونحن نشاهد في العربية آثارا كثيرة تدل على أن الكسرة والضمة لا فرق بينهما في الأصل معنى ووظيفة، منها أن كثيرا من الأفعال، ماضيها إما فَعِلَ أو فَعُلَ، وقد يوجد فرق بين الصيغتين لكنه قليل الأهمية بالنسبة إلي الفرق بين: فَعَلَ وفَعِلَ، أو بين فَعَلَ وفَعُلَ، وكثير من الأفعال مضارعه إما يفعُل أو يفعِل، فالفرق بينهما أقل من الفرق بين فَعَلَ و فَعُلَ، وأحيانا لا يقتصر التطابق على الحركتين المقصورتين (القصيرتين) بل يتعداهما إلي الممدودتين (الطويلتين) مثال ذلك أن فَعِلَ وفَعُول قريب بعضه من بعض[1].

وقد أدرك هذه العلاقة العلماء العرب القدامى بين الكسرة والضمة من جهة وبين الياء الطويلة والواو الطويلة من جهة أخري، حيث يقول ابن درستويه: "كل ما كان

---

(١) التطور النحوى ص٥٤

ماضيه من الأفعال الثلاثية على فَعَلْت بفتح العين، ولم يكن ثانية ولا ثالثه من حروف اللين، ولا حروف حلق فإنه يجوز في مستقبله: يفعُل بضم العين ويفعِل بكسرها، كقولنا ضرب يضرِب وشكر يشكُر، وليس أحدهما أولي به من الآخر، ولا فيه عند العرب إلا الاستحسان والاستخفاف، فمما جاء وقد استعمل فيه الوجهان، قولهم: ينفُر وينفِر، ويشتُم ويشتِم؛ فهذا يدلكم على جواز الوجهين فيه وأنهما شيء واحد، لأن الضمة أخت الكسرة[1] وقد أكد هذه العلاقة ابن جني بقوله " إن بين الياء والواو قربا ونسبا ليس بينهما وبين الألف ألا تراها تثبت في الوقف، في المكان الذى تحذفان فيه، وذلك قولك: هذا زَيْد ومررت بزَيْد، ثم تقول: ضربت زيدا، وتراهما تجتمعان في القصيدة الواحدة ردفين، في نحو قول امرئ القيس: (البسيط)

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني جرداء معروقة اللحيين سُرْحُوب

ثم قال فيها:

كالدّلو بُتّت عراها وهى مثقلة وخانها وَذَم منها وتكريب[2]

يقول أبو زيد: " طفت في عليا قيس وتميم مدة طويلة، أسأل عن هذا الباب صغيرهم وكبيرهم، لأعرف ما كان منه بالضم أولى، وما كان منه بالكسر أولى، فلم أعرف لذلك قياسا، وإنما يتكلم به كل امرئ منهم على ما يستحسن."[3].

ومما يؤكد هذا الافتراض حول الحركات القصيرة في اللغة السامية الأم، وأنها حركتان فقط، إلي جانب ما أسلفناه من تحليل للحركات في اللغة العربية، فإننا نجد أن اللغة الحبشية تشتمل على حركتين قصيرتين فقط هما حركة الفتحة القصيرة التي تقابلها الفتحة القصيرة – أيضا – في اللغة العربية، وحركة الكسرة الممالة: e التي تقابلها الكسرة والضمه في اللغة العربية. حيث نجد كثيرا من الكلمات التي علي وزن فعِل يقابلها فعُل في سائر اللغات السامية، وبالعكس، مثال ذلك " البكْر " في العربية، يقابلها في الأكادية: bukur وفي العبرية: bkōr، وفي الآرامية: bukrā. وكذلك الحال في كلمة: ظِل، في اللغة العربية، يقابلها في الآرامية: tulla، وفي

(١) تصحيح الفصيح لابن درستويه ص١٠٥، والمزهر ج١ص٢٠٧
(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ٢٣، وديوان امرئ القيس ٢٢٥-٢٢٧
(٣) تصحيح الفصيح لابن درستويه ١١٠، والمزهر ١ / ٢٠٧

الأكادية والعبرية توافقان اللغة العربية، في أن " الظل" فيهما: Ṣēl Ṣillu وأمثلة أخري ذكرها برجشتراسر. وبالعكس" فاللبُّ " يقابلها في الأكادية " libbu وفي العبرية lēḇ، وفي الآرامية lebbu، وكلمة: الأمُ، في العربية، تقابلها في العبرية: ، ēm‹ في الآرامية كلمة: emma‹، وفي الأكادية كلمة: ummu‹، كما هو الحال في العربية، ومن الغريب أن بعض القراء قرءوا: إم في القران الكريم[1] حسب نطقها في اللهجات العربية العتيقة.[2]

وليس من شك في أن الضمة والكسرة أقرب إلي بعضهما من الفتحة، فهما صوتان يشتركان في صفة كونهما ضيقين، حيث يكون وضع اللسان في نطقهما في أضيق نقطة يصل إليها بالنسبة لسقف الحنك مع الاحتفاظ بحرية مرور الهواء في أثناء النطق بهما حرا طليقا غفلا ساذجا دون عائق يعوقه في أثناء خروجه، غير أن نقطة الضيق في نطق الضمة، في مؤخرة اللسان، وأما نقطة الضيق في نطق الكسرة في مقدمة اللسان، فالضمة إذن صوت خلفي ضيق والكسرة صوت أمامي ضيق أيضا. وقد أسلفنا إدراك العلماء العرب القدامي لهذه العلاقة من القربى والنسب بين الضمة والكسرة، وهذا ما أكدته الدراسات الصوتية الحديثة. من خلال الدراسات التجريبية المعملية واستخدام الأجهزة والآلات الصوتية المتقدمة.

ويذكر برجشتراسر أن الضمة والكسرة كانتا حركة واحدة في الأصل في اللغات السامية، حيث يؤكد أن الفتحة في اللغات السامية كانت حرفا ثباتيا فان آلات النطق كانت توضع في وضعٍ تعيّن لنطقها، فهى حركة كاملة معينة وإن اختلفت أنواع نطقها اختلافا جزئيا ظاهراً.

أما الكسرة والضمة فإنها كانت حرفين انتقاليين فهما حركتان ناقصتان غير معينتين ليس بينهما فرق معلوم ثابت، بل صوتهما تابع للحروف الصامتة السابقة والتالية لهما في الكلمة[3]

ويذكر برجشتراسر إشمام الكسرة بالضمة أو بالعكس في مثل، قيل وردّ، ربما يكون هو الصوت الذى ينطق ضمة وكسرة في اللغة العربية، لكنه يقول بأن هذه الحركة

(١) انظر: النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٠
(٢) انظر: التطور النحوي ٥٤-٥٥
(٣) التطور النحوى ٥٦

المتوسطة بين الكسرة والضمة ليست بحرف انتقالي، وإنما هى حرف ثباتي ومخرجها معين ويرى أن نطق بعض اللهجات الدارجة في مثل لهجة الشام، يكون نطق الكسرة والضمة كثيرا بغير مخرج ثابت محدد، بل في أثناء انتقال أعضاء النطق من مخرج الحرف السابق لهما إلي مخرج الحرف التالي لهما، فهما لا كسرة ولا ضمة، بل أنواع من الصوت مضطربة مبهمة تؤثر في كيفيتها الحروف المجأورة لها، فحركتها حركة لا نظير لها بين الحركات المعينة المحددة الكاملة، بل هي حركة ناقصة انتقالية[١]

ويخلص من ذلك إلي القول بأن عدد الحركات في اللغة السامية الأم كان قليلا جدا، فكانت الممدودة الطويلة منها ثلاثا أو أربعا، والمقصورة (القصيرة) اثنتين، ومعنى ذلك: عدد الحركات المتخالفة معنى ووظيفة لانطقا، فإنا قد رأينا أن الحركة الناقصة الانتقالية كانت تقارب الضمة في بعض الحالات، والكسرة في بعضها ولها مع ذلك أنواع لا تحصي ولاتحدد، غير أنها لا فرق بينهما في المعني والوظيفة.[٢]

ويذكر برجشتراسر بأن من أهم خصائص اللغة السامية الأم خلافا – مثلاً – للغات الهندية والإيرانية والغربية والموسومة اللغات الهندوأوربية، فإنا نري أمها التي اشتقت منها كانت تحتوي على خمس حركات مقصورة (قصيرة) متخالفة وظيفة ومعنى، وكثير من بناتها أي اللغات الهندية والإيرانية والغربية المستعملة اليوم محتو على أكثر من ذلك من الحركات المقصورة (القصيرة)، والحركات في هذه اللغات لا يتصل بعضها ببعض كأنواع الفتحة في لهجة الشام.بل بين كل اثنين منها فارق فنجد مثلا في الإنجليزية كلمات but، bat، bet، but إملاؤها الضمة ونطقها نوع من أنواع الفتحة، لا يختلف بعضها عن بعض إلا بالحركة، وترى الحركات متقاربة تقاربا بينا، غير أن بين كل اثنتين فارقا. فلا توجد كلمة في الإنجليزية حركتها بين حركتي bat، bet أو بين but، bat، والكلمات المذكورة، وإن تقاربت حركاتها فهي مختلفة في المعني اختلافا تاما فـ: bet معناها: المخاطرة، و bat معناها: الوطواط، و but معناها: لكن[٣] .

---

(١) التطور النحوي٥٧

(٢) التطور النحوي ٥٧–٥٨

(٣) التطور النحوي ٥٩

الحركات الممالة في اللغات السامية

أسلفنا بأن الحركات الطويلة في اللغات السامية أكثر عددا من نظيراتها الحركات القصيرة وأما تنوعاتها الصوتية فهي أقل من الحركات القصيرة، فالفتحة الطويلة في اللغات السامية دائما تكون ألفا هكذا a وكذلك بقية الحركات الطويلة.

أما اللغة العربية فإن الفتحة الطويلة فيها، كثيرا ما كانت تقارب حركة الإمالة الطويلة بالكسر (ē)، وهذا يشيع في اللهجات العربية الدارجة، وهو ما يطلق عليه: الإمالة، أي: إمالة الفتحة نحو الكسرة وإمالة الألف نحو الياء.

ويذكر برجشتراسر أن الإمالة في العربية جنسان، **الأول:** هو تنوع نطق الفتحة الطويلة تشبيها لها بالحروف المجأورة لها. وسائر حركات الكلمة، وهو نظير ما ذكرناه من تنوع نطق الفتحة القصيرة، ومن هذا الجنس كل ما يوجد من الإمالة في اللهجات الدارجة أو أكثره ومنه أيضا ما أماله القراء البصريون، وأشهرهم أبو عمرو وبعض الكوفيين والمدنيين، كإمالة الألف الطويل قبل ياء مكسورة[1]، **والجنس الثاني**: وهو أهم الجنسين: إمالة ما لا داعي لإمالته في الحروف المجأورة للفتحة الممالة ولا في سائر حركات الكلمة ومن هذا الجنس ما أومأ إلي إمالته الإملاء، وبالأخص رسم القرآن بياء تكون حرف المد بدل الألف، نحو " رمى " ومن المهم أن الياء أثبت في رسم القرآن. قبل الضمائر أيضا نحو: " رميها " والإملاء العادي أبدلها بالألف في هذه الحالة فكانت رماها فنرى رسم القرآن أن الفتحة الطويلة كانت ممالة عند الحجازيين في أواخر كثير من الكلمات نحو "إلي" و"إحدى" و"رمي" وما يشابها في أن لامه ياء ورماها إلي آخره.

ثمة تغييرات تحدث للحركات في اللغات السامية، ولكنها يسيرة وقليلة حيث تبقى الحركات في اللغات السامية على حالها في اللغة العربية، إلا أن الحركة القصيرة الناقصة الانتقالية، صارت حركتين كاملتين في كثير من اللهجات العربية فهى في بعض ضمة، وفي بعض كسرة.

---

(١) التطور النحوي ٥٩

وأما التغييرات للحروف الصائتة، فهي في الطويلة التقصير، وفي القصيرة الإبدال والحذف والزيادة، فلا يوجد في العربية إبدال للحركات الطويلة إلا نادراً جداً، إذا ما صرفنا النظر عما أسلفناه من الإمالة، ولا يوجد مد للحركات القصيرة إلا نادراً أيضاً[١]، وقد وردت أمثلة لهذا التقصير في الحركات الطوال، حيث أثر النبر الطارئ على مقاطع الكلمة المفردة أو في الجملة في تقصير هذه الحركات الطويلة[٢] كما أوردت كتب المصادر أمثلة شعرية تم تقصير الحركات الطويلة إلي مجرد حركة قصيرة بسبب النبر الطارئ، ومن ذلك قول عبد المطلب[٣]: (الرجز)

عذتُ بما عاذ به إبراهم

حيث قصرت الياء الطويلة إلي مجرد كسرة بتأثير انتقال النبر عن موضعه في كلمة إبراهيم، ومن ذلك ما رواه أبو زيد في نوادره[٤](الرجز)

أنا على طول الكلال التوان

حيث قصرت الياء الطويلة أيضا في كلمة التواني بسبب النبر الطارئ، وأماإطالة الحركة القصيرة إلي حركة طويلة فمثالها قول الشاعر:[٥] (المديد)

لا أحد لي بنيضال صبحت كشن البال

وقد تنأولنا بالتفصيل أنواع تغير الحركات سواء بالمد أو بالتقصير أو بالحذف أو بالزيادة في عرضنا التفصيلي لصور المماثلة والمخالفة وما ذكرناه من أمثلة كثيرة وردت في المؤلفات اللغوية. ويذكر برجشتراسر أن تقصير الحركات الطويلة مطرد قبل الحرف الساكن المدغم في مثله في نحو: شابّه، دابّه. وذكر لذلك أمثلة منها أن الفعل المعتل الآخر المسند إلي تاء التأنيث: رمت، أصلها رَمَيَت ramayat وكان ينبغي أن تكون: "رمات ramāt" بالفتحة الطويلة، التي تم تقصيرها، وكذلك كلمة: رامٍ أصلها ramiyin اتحدت الحركتان، فأصبحت ramīn، ثم قصرت الكسرة الطويلة

(١) انظر، التطور النحوى: ٦١ – ٦٢
(٢) انظر، الفونيمات التطريزية في اللغة العربية ٤٦ – ٥٢
(٣) المعرب، للجواليقي: ١/٩، ١٣ /١
(٤) النوادر، لأبي زيد ١٠٣، وخزانة الأدب ٣ / ٢٢٤
(٥) التطور النحوي ٦٦

إلي: ramin، وهو يؤكد بأن تقصير الحركات الطوال إلي قصيرة في اللغات السامية قانون قديم سائد في أكثر اللغات السامية[1]، كما يذكر برجشتراسر بأن تقصير الحركات الطويلة ليس مقصورا فحسب على الحركات الطويلة البسيطة وإنما يمتد إلي الحركات الطويلة المركبة من الفتحة والكسرة ai والفتحة والضمة au حيث الفتحة تمثل مركز الحركة والكسرة والضمة تمثل طرفه الأخير، ويمثل لذلك بالحركة المركبة في الفعل: ليست laisat النافية الناسخة حيث قصرت الحركة المركبة ai بسبب الساكن بعدها وتحولت إلي مجرد فتحة قصيرة لستُ: lastu عند إسنادها إلي تاء المتكلم أو المخاطب بنوعيه: المذكر والمؤنث

ويذكر بأن الحركات الطويلة في أواخر الكلمات في الأصل تكتب دائما بالحركة الطويلة في مثل: على، ورمى، وغزا، وفيها، فعلنا... إلخ، وأن بعضها الآخر يكتب بالحركة الطويلة تارة في مثل: بما، فيما، ولما، ولكنها تقتصر تارة أخري في نحو: بم، فيم، لم.

وقد تحذف تارة ثالثة في مثل: كم أصلها كما، كما يذكر برجشتراسر بأن بعض الحركات الطويلة في نهاية الكلمات تكتب في الأصل أبدا بدون الحركة الطويلة، وذلك في نحو: فيه، وله، وأنت فالحركات الأخيرة في هذه الكلمات كانت طويلة في الأصل، وتؤكد ذلك الدراسة المقارنة باللغات السامية، حيث نجد أن الضمير به يقابله su في الأكادية: وbu في الحبشية، وأما أنت في العربية فيقابلها attā‹ وأنتم في العربية يقابلها antemmu‹ ! وهو يرجح بأن كل الحركات الطويلة في أواخر الكلمات كانت تقصر في اللغات السامية الأم في بعض المواضع، ولكن لم يحدد في أيها يحدث هذا التقصير، ولكنه ذكر أن ذلك يحدث في حالات الوصل، بل تحدده قواعد الوصل، وأن ذلك يحدث في اللغات السامية، وبخاصة في اللغة العبرية حيث تؤثر قواعد الوصل فيها تأثيرا واضحا في تقصير الحركات الطويلة الأخيرة إلي حركات قصيرة.

ولعل من الأمثلة التي ذكرها برجشتراسر في تقصير الحركات الطويلة، ولكنه في أواسط الكلمات، وليست في آخرها. وذلك في مثل قتال مصدرا للفعل: قاتل، وكان

(١) التطور النحوي٦٦

الأولي أن يكون: قيتالا، لامتداد الحركة الأولي في: قاتل، حيث ينبغى أن تقلب الألف إلي ياء لمناسبة كسرة القاف فتكون: قيـ في مقابل: قا، ولكن تم تقصير الياء إلي مجرد كسرة لكيلا تتابع حركتان طويلتان هكذا: قيتال kītāl، وذكر من ذلك أمثلة أخري في كلمة: رضيع بمعنى مراضع، وخليف بمعنى: تخالف وما يشابهها فيقول: وكان الأولي أن تكون: راضيع، وخاليف، تبعا لامتداد الفتحة في راضع وخالف، ومن ذلك أيضا كلمة تراث: tur□ṯ بدلا من: tawrāt، وكلمة: تجاه tuğāh بدلا من: tawğāh على وزن: تُفْعال حيث تم تقصير الحركة المركبة[1]

أما عن حذف الحركات، فيذكر برجشتراسر أن حذف الحركات في اللغة العربية قليل، ومثاله حذف الحركة الأصلية في "ابن" و"اسم" وحذف الحركة الثانية في مثل: نعم وبئس بدلا من: نَعِمَ و بَئِسَ، وكذلك في مثل: الكِرْش بدلا من الكَرِش، وفي كلمة: السِّرْقة بدلا من السَّرِقة، وكلمة المِعدة بدلا من المَعِدة، وقد تحذف الحركة الثانية من فَعِل بغير قلب الأولي كسرة، وذلك في نحو: كَبْد بدلا من كَبِد، وكلمة: نفْس بدلا من نفِس، فهى في العربية دائما بالحذف، وكذا في العبرية: nefeš بدلا من: nafš غير أنها في الأكادية على الصورة الأصلية وهي: nafistu بتاء التأنيث[2].

(١) انظر التطور النحوي ٦٨

(٢) انظر التطور النحوي ٦٨ ويمكننا تفسير ما حدث من تغييرات في الحركات في ضوء قواعد التنظيم المقطعي من جهة، وتأثيرات النبر الطارئ على مقاطع الكلمات من جهة أخري. انظر في ذلك الفونيمات التطريزية في العربية، ٢٩ ومابعدها، ٦٣ ومابعدها.

obeikandl.com

نماذج تطبيقية
على الصيغ الصرفية والأبنية بأنواعها
في اللغات السامية في ضوء علم اللغة المقارن

obeikandl.com

obeikandl.com

أولاً: الأوزان الصرفية للأفعال:

تستخدم اللغات السامية جميعها الأوزان الصرفية المختلفة لأبنية أفعالها، وذلك للتعبير عن الأحداث الفعلية وأنواعها. وقد جاءت هذه الأوزان في اللغات السامية من الأصل الذي يكون الأساس المشترك لها وتتميز هذه الأوزان الصرفية للأفعال في اللغات السامية بأنها تستمد جذورها من أصل ثلاثي لأصوات صامته، ونقدم فيما يلي عرضا لصيغ الأفعال في هذه اللغات السامية على النحو الآتي :

١- **الوزن الأصلي المجرد الثلاثي:** ونمثل له في اللغة العربية بالفعل: قَتَلَ، على وزن فَعَلَ، يقابله في الحبشية: katāla وفي اللغة العبرية: qāṭāl وفي اللغة الآرامية: qṭāl وفي اللغة الأكادية katāl، ونلاحظ من المقارنة أن اللغة العربية والحبشية قد احتفظتا بالفتح على آخر الصيغة، وأن هذا الفتح قد سقط في بقية اللغات العبرية والآرامية والأكادية، وأن الفتح في اللغتين هو الأصل في اللغة السامية الأم، وقد سقط في اللغات السالفة غير أننا نجد هذه اللغات يوجد فيها الفتح عند إسنادها إلي ضمائر النصب حيث يقال في اللغة العبرية: qāṭālani وفي اللغة الآرامية: qaṭlan بمعنى قتلني ومن القواعد المقررة في دراسة اللغات أن الصيغ المتصلة بضمائر النصب كثيرا ما تحتفظ بالعناصر القديمة في اللغة[1]، ومن خصائص هذا الوزن فَعَلَ، أنه يتعدى إلي نصب المفعول به بنفسه، غير أنه إذا تغيرت حركة العين فيه إلي ضم أو كسر فإنه يتحول إلي فعل لازم يدل أحدهما وهو فَعُلَ على الخصائص الثابتة المستمرة، ومثاله في العربية الفعل: حسُن وفي اللغة العبرية الفعل qāṭōn بمعنى: صَغُرَ، وأما الثاني وهو: فعِل فيدل على الأعراض المتغيرة، ومثاله في اللغة العربية: يبس وفرِح، وأما مثاله في اللغة العبرية šālēm معنى سلِم zāqēn بمعنى: هَرِمَ.

وأما اللغة الحبشية فإن الضمة والكسرة فيها قد تحولتا إلي كسرة قصيرة ممالة في الأفعال اللازمة ومن أمثلتها الفعل: labesa بمعنى لَبِسَ التي أصبحت تنطق هى ونظائرها فيما بعد بسكون العين (المقطع الثاني) فيقال labsa بمعنى لبس كذلك: gabra بمعنى عَمِل.

---

(١) انظر المدخل إلي علم اللغة ص٢٣٠

ومن الملاحظ أن وزن فعُل نادر في اللغة العبرية، وهو لا يوجد في اللغة الآرامية إلا في بعض الأفعال القديمة في مثل: kfōḏ بمعنى انتفش الطائر، وأن وزن فَعِلَ بالكسر كثير الشيوع. أما الآشورية فإن فيها وزن فعُل، ومن مثاله الفعل imaruṣ بمعنى مرِض، كما جاءت على وزن فعِل في مثل: išalim بمعنى: سَلِمَ[1]

٢- <u>الوزن الثلاثي المضعف</u> (فعّل): ويعد هذا الوزن مما يتكرر فيه عين الفعل، للدلالة على الشدة والتكرار في الحدث وللدلالة على السببية أيضا، ومثاله في اللغة العربية قتّل: ḳattala وفي اللغة الحبشية: ḳāttala وفي اللغة العبرية: ḳiṭṭēl وفي اللغة الآرامية: ḳaṭṭēl وفي اللغة الأكادية: ḳattāl.

٣- <u>وزن فاعل</u>: وهذا الوزن مقصور على مجموعة اللغات السامية الجنوبية، ومثاله في اللغة العربية الفعل قاتل، وفي اللغة الحبشية الفعل: bāraka بمعنى بارك، والفعل: šāḳaya بمعنى عذّب، والفعل: wāḥaya بمعنى زار بيد أنه وردت أمثلة لبقايا قديمة في اللغة العبرية لصيغ اسم الفاعل المشتقة من الصيغة فاعل.

٤- <u>وزن السببية الرباعي</u>: ويشيع هذا الوزن في جميع اللغات السامية وذلك بزيادة مقطع في أول الصيغة الفعلية، ومن ثم تسقط حركة فاء الفعل ويكون ذلك بزيادة همزة قطع محركة بالفتح في اللغة العربية في مثل الفعل: أكرم، والفعل أدخل في اللغة العربية، وكذا الحال في اللغة الحبشية، وذلك في مثل: ʿaktāla غير أنها تصاغ أيضا من المقطع: sa وذلك في مثل: ʿastarʿaya بجلب همزة وصل للتمكن بالنطق بالسين الساكنة، بمعنى: أظهر نفسه، أما في اللغة العبرية فيصاغ هذا الوزن بزيادة: ha المحركة بالفتح، ولكن إذا وقع فيها الفتح في مقطع مغلق غير منبور تحول إلي كسر، مثل الفعل: hiḳrīḇ بمعنى أقرب أي: أضحى أضحية.وكذلك الحال في آرامية العهد القديم تصاغ هذه الصيغة بزيادة الهاء المفتوحة: ha أما في اللغة السريانية فيصاغ هذا الوزن بزيادة a فيما عدا الكلمات الدينية المستعارة من العبرية عن طريق الآرامية اليهودية، مثل haymen بمعنى آمن، تلك الكلمة استعارتها اللغة العربية: هيمن، للدلالة على معنى: سيطر، كما ينبغي الإشارة إلي أنه ثمة بقايا لهذا الوزن في

(١) انظر المدخل إلي علم اللغة ص٢٣١

السريانية، ولكن بزيادة šā أو: ša، ومن أمثلتها كلمة ša‹beḏ، بمعنى: استعبد، وكلمة šāmlī بمعنى أكمل، بزيادة šā وكلمة: sarheḏ بمعنى أسرع، وكلمة sakbel بمعنى استقبل، بزيادة sa. أما اللغة الأكادية فيصاغ فيها الوزن بزيادة: sa ومن ذلك كلمة: uŠadgil بمعنى أظهر[1].

ولعلنا نلاحظ أن اللغات السامية ليست على سواء في صياغة وزن السببية بأنواعه، فثمة لغات تصوغه بزيادة الهمزة كالعربية، كما أسلفنا بالأمثلة، غير أنه وردت أمثلة في اللغة العربية أيضا، جاءت مبدوءة بزيادة ha، وذلك في مثل هراق، وهراح، وهراد في الكلمات: أراق وأراح وأراد، تماما كما يحدث في أخواتها من اللغات العبرية وآرامية العهد القديم كما تصوغه لغات بزيادة: sa كاللغة العربية في الصيغة: استفعل، التي جلبت فيها همزة الوصل في أول الصيغة للتمكن من النطق بالساكن، وكذلك الحال في اللغة السريانية، في حين تصوغه اللغة الآشورية واللغة المعينية بزيادة: sa كما أسلفنا في الأمثلة السابقة. وليس من شك في أن هذه البدايات المتنوعة والمختلفة للدلالة على وزن السببية أو على وزن الرباعي عند برجشستراسر لا يمكن إرجاعها إلي أصل واحد. ويرى د. رمضان عبد التواب أن هذا النقد يؤدى إلي الاعتقاد بأنها نشأت جميعها في السامية الأولي الواحدة بجوار الأخرى، ولا تزال توجد في بعض اللغات كذلك[2].

٥- <u>وزن المطاوعة بالتاء</u>: ويتم بناء هذا الوزن الذي يطلق عليه وزن الانعكاسية Reflexivأو المطأوعة أو الافتعال من الأوزان: المجرد الثلاثي فعَل، والثلاثي المضعف العين: فَعّل، ووزن فاعل ووزن السببية الرباعي وذلك بزيادة ta للدلالة على الافتعال والمطاوعة.

أ- بناؤه من المجرد الثلاثي: ويتم ذلك بأن تسقط حركة فاء الفعل عند بناء وزن الافتعال منه، بسبب انتقال النبر عن الفاء إلى ta، وينتج عن ذلك صيغة: táktala تفعّل، وهذه الصيغة التي نشأت على هذا النحو لا وجود لها إلا في اللغة الحبشية في كلمة: tanšē‹a بمعنى ارتفع، ولا وجود لها في أية لغة سامية أخرى على هذا

(١) انظر: المدخل إلي علم اللغة ص٢٣٣، ٢٣٤، وكذا انظر: التطور النحوي ص٩٣ وما بعدها.
(٢) انظر: المدخل إلي علم اللغة ص٢٣٣.

النحو من البناء– على الرغم من قدم هذا البناء–وذلك بسبب ما يسمي القياس البنائي[1]. أما اللغة العربية الفصحى فقد وضعت فيها التاء بعد فاء الفعل وذلك في مثل: اقتتل، وفي مثل: اقتصر، وغيرها، في حين نجد العامية في مصر والمغرب قد حافظت على البناء الأصلي السامي وذلك في مثل قولهم: اتكسر بمعنى كُسِر، واتفعص بمعنى فُعِص.. الخ، كما يقولون في تونس: تكتب tktib بمعنى كُتِبَ، وفي المغرب يقولون: تسرق tsarak بمعنى سُرِق.. الخ، ويري بروكلمان أن السبب في القلب المكاني في اللغة العربية لهذا البناء يرجح أن يكون القياس على الأفعال الكثيرة التي تبدأ بصوت من أصوات الصفير كالسين والشين، حيث إن القاعدة السامية العامة تقول بالقلب المكاني بين تاء الافتعال وفاء الفعل إذا كانت هذه الفاء من أصوات الصفير[2].

ب – **بناؤه من الثلاثي المضعف (فَعَّلَ)** وقد ورد هذا البناء في صورته السامية القديمة الأصلية في اللغة العربية في مثل: تقتّل، وفي اللغة الحبشية في مثل: takattala بمعنى تقتل أيضا. أما في اللغة الآرامية واللغة العبرية فليس فيهما هذا البناء السامي القديم، بسبب اشتقاق ماض جديد من المضارع، ومثال ذلك في اللغة الآرامية: eṯpakkaḏ› ومثاله في اللغة العبرية hiṯḳaṭṭēl بمعنى تقتل، وقد قيست فيه حركة العين على حركتها في مضعف العين المجرد، وقد ورد بفتح العين أحيانا كما في آرامية العهد القديم في كلمة: hiṯḳaṭṭal[3].

ج – **بناؤه من وزن فاعل**، ولا يوجد هذا البناء إلا في اللغة العربية واللغة الحبشية ولا وجود له في اللغات السامية الشمالية، ويأتي الافتعال بزيادة ta، وهو بناء مطرد في كلتا اللغتين ومن أمثلته: في العربية الفعل تقاتل وفي اللغة الحبشية: taḳātala بمعنى: تقاتل، وقد صاغت اللغة العربية منذ القديم صيغة ماض جديد مشتقة من المضارع بعد سقوط حركة الفاء ومثال ذلك ما ورد في القرآن الكريم: ﴿**بَلْ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ**﴾ (النمل ٢٧/٦٦) وقوله عز وجل: ﴿**إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**

---

(١) انظر: المدخل إلي علم اللغة ص٢٣٥

(٢) انظر فقه اللغات السامية ١١٠

(٣) المدخل إلي علم اللغة ص٢٣٦، وانظر أيضا: التطور النحوى ٩٢وما بعدها.

اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾ (التوبة٩/٢٨) وأصبح من الأبنية الشائعة الاستعمال في الواقع اللغوى المعاصر في لهجات الخطاب العامي في مصر وذلك في مثل: اصّالح وشّاكل... الخ.

د- بناؤه من وزن السببية (الرباعي) وهو بناء موجود في جميع اللغات السامية فيما عدا اللغة العبرية، وكما أسلفنا فان بناء السببية في اللغة الآرامية يكون بالهمزة: a› وفي غيرها بالسين: sa، أما في اللغة العربية فإن بناء الماضي منه كان من المفروض أن يكون تَسَقْتَل ومضارعه: يَتَسَقْتِلُ، وحدث قلب مكاني في المضارع، بسبب خصائص حرف الصفير فصار المضارع يستقتل، واشتق منه ماض جديد بعد حذف حرف المضارعة والإتيان بألف الوصل للتمكن من النطق بالساكن فجاء الماضي استقتل[1]

٦- <u>المطاوعة بالنون</u>: ثمة بناء للفعل في اللغات السامية للمطاوعة بالنون على وزن انفعل، في كل من اللغة العربية والعبرية والأكادية ويتم بناؤه من المجرد الثلاثي بزيادة نون، وتمثل اللغة العبرية البناء الأصلي لهذا الوزن ومثاله كلمة: nif‹al في الزمن الماضي، وأما في الأكادية فمثالها فعل الأمر: niḳtil، أما في اللغة العربية ففيها بناء جديد مأخوذ من المضارع في مثل: انكسر، أما اللغة الحبشية فإنها تبني هذا البناء من الرباعي في مثل كلمة: anfar‹asa‹ بمعنى وثب[2].

٧- <u>المبني للمجهول</u>:

يبنى من الصيغ الأربعة الرئيسية وهى: المجرد الثلاثي والثلاثي المضعف ووزن فاعل ووزن السببية الرباعي، في الأصل السامي صيغ للبناء للمجهول، حيث يضم فيها الحرف الأول ويكسر الحرف الثاني ويفتح الحرف الثالث، بدلا من تتابع الفتحات في حروف الفعل المبنى للمعلوم. ويذكر بروكلمان بأن اللغة الحبشية قد فقدت تماما البناء للمجهول. أما اللغة العبرية فإنها قد حلت صيغة الانفعال محل الصيغة الأصلية من الثلاثي وأحيانا يتفق فيها المبنى للمجهول من مجرد الثلاثي مع المبنى للمجهول من وزن فعل الثلاثي المضعف، وذلك في مثل كلمة yullaḏ بمعنى وُلِدَ من الفعل:

(١) المدخل إلي علم اللغة ص٢٣٦، ٢٣٧
(٢) المدخل إلي علم اللغة ص٢٣٨. وانظر: فقه اللغات السامية ص ١١٠، ١١١

yālaḏ، بمعنى: ولد، ومثل كلمة kuppēr بمعنى كُفِّر عنه من الفعل: kippēr بمعنى كَفَّر عن[1].

أما المبني للمجهول من وزن السببية في اللغة العبرية، فإنه يبنى على وزن: hōfḳad حيث قيست حركة العين فيه على حركتها في المضارع. أما اللغة السريانية فليس فيها من هذا الوزن مبنى للمجهول في صورته الأصلية، ولكن اسم المفعول مع اسم الفاعل المسبوق باللام يمكن أن يقوم فيها مقام المبنى للمجهول وذلك في مثل: šmīʿlan بمعنى مسموع لنا، أى: سمع لنا، يعنى: سمعنا[2].

أما في اللغة السريانية، فإن بناء الافتعال بالتاء يؤدى وظيفة البناء للمجهول، من الصيغ الأصلية الثلاث: المجرد الثلاثي في مثل eṯḳtel‹ بمعنى: قتل، والمضعف الثلاثي في مثل: eṯḳaṭṭal‹ بمعنى قُتل، والمزيد بالألف (صيغة فاعل) في مثل: ettaḳtal‹ بمعنى أُقتل[3].

أما الآشورية، فإنها تحتفظ بآثار للبناء للمجهول، وردت أمثلة لها في خطابات تل العمارنة، ففي مثل: dīka بمعنى: قُتل، في مقابل: dāka بمعنى قَتل. وأما اللغة العبرية، فإن بها آثارًا ضئيلة للبناء للمجهول في مثل hiṯpāḳḏū بمعنى: عُدُّوا أو: أُحصي عددهم[4]. أما اللغة العربية فإن البناء للمجهول فيها يصاغ من أوزان السببية والافتعال والانفعال، وأمثلتها: احتُرِم، وانكسر... الخ[5].

ويذكر بروكلمان أن ثمة أوزانا أخرى توجد في بعض اللغات السامية، غير الأوزان الأربعة الرئيسية، ومن ذلك وزن: افعلّ في اللغة العربية، وذلك مثل كلمة: احمرَّ واخضرَّ، وكذلك وزن افعالّ، ومن أمثلتها: اشهابَّ، واصفارَّ. وقد ورد من الوزن: افعل في اللغة العبرية أمثلة لذلك منها كلمة: ra anan بمعنى: اخضرّ[6].

---

(١) انظر: فقه اللغات السامية١١١
(٢) انظر: المدخل إلي علم اللغة ٢٣٩ وكذا: التطور النحوى١٤١
(٣) انظر: المدخل إلي علم اللغة ٢٣٩
(٤) انظر: المدخل إلي علم اللغة ٢٤٠، وانظر فقه اللغات السامية١١١
(٥) انظر: فقه اللغات السامية١١١
(٦) انظر: فقه اللغات السامية١١١ وانظر: المخل إلي علم اللغة ٢٤٠

ومن الأبنية التي توسعت فيها اللغة الحبشية والأشورية خارج إطار الأوزان الأربعة الأصلية، يذكر بروكلمان أن الحبشية تبنى وزن السببية لا من الوزن الأصلى فحسب، بل من وزنى الشدة (فعَّل) والهدف (فاعل) akattāla› akātāla› في حين يقل وزن الشدة السببية في اللغة الآشورية[1].

ويذكر برجشتراسر بأن اللغة العربية في بناء أفعالها.. أبعد من الأصل في اللغتين: الأكادية والعبرية، وقريبة من اللغة الحبشية والآرامية، فالعربية والحبشية والآرامية، تعد من وجهة نظره أقل حفظا للأبنية القديمة ومعانيها من بين سائر اللغات السامية، وأما الأكادية والعبرية فتختلفان اختلافا ظاهرا بينا، فالأكادية وحيدة بين أخواتها في بعض الحالات، والعبرية ترافق فيها سائر اللغات السامية الغربية.[2] وهو يقرر بأن اللغة العبرية متوسطة بين الأكادية وسائر اللغات السامية في نظام أبنية الفعل، أما الأكادية فلها خاصيتان تمتاز بهما؛ **أولاهما**: أنه لا يوجد فيها ماض متعد على وزن: فَعَلَ وفعِل... الخ، والخاصية **الثانية** للأكادية هى أن: فيها صيغتين للمضارع **إحداهما**: مثل المضارع العربي، **والأخرى** تختلف عن تلك بإدخال فتحة بعد فاء الفعل، **والأولى** تدل على الماضي، **والثانية** على الحاضر والمستقبل.[3] وأما العبرية فإنها قد حافظت على استعمال المضارع بمعنى الماضي بصورة واسعة، وأكثر ما يكون ذلك بعد وأو العطف.

أما اللغة العربية فقد فقدت هذا الاستعمال إلا أن يكون بعد: لم، وإنْ وأخواتها، وذلك نحو قولنا: لم يفعلْ بمعنى: ما فعل في الماضي وكذلك: إن يفعل ن بمعنى: إنْ فعل، فالمضارع مجزوم في هذه الحالات، كما هو في العبرية إذا دل على الماضي. كما يقرر – أيضا – بأن اللغة العربية قد ابتدعت ماضيا متعديا دالا على عمل اختياري على صيغة: فعل، متفقة في ذلك مع سائر اللغات السامية الغربية، كما أنها ابتدعت مضارعا منصوبا بالإضافة إلي المجزوم والمرفوع، بما يعد اختصاصا بها دون غيرها من سائر اللغات السامية[4] .

---

(١) انظر: فقه اللغات السامية١١١

(٢) انظر: التطور النحوى ٨٧

(٣) التطور النحوى ٨٨

(٤) التطور النحوى ٨٨-٨٩

أما عن إلحاق النون المؤكدة بالأفعال المضارعة وأفعال الأمر، فيشيع ذلك في كل من اللغة الأكادية واللغة العبرية، في حين يندر شيوعه في اللغة الآرامية، وأن ذلك من خصائص اللغة السامية الأم، على الرغم من تباين اللغات السابقة في ذلك تباينا طفيفا، سواء في دلالة النون على التوكيد من جهة، وفي كيفية إلحاقها من جهة أخرى، حيث تستخدم الأكادية الميم التي كانت تقتصر في الأصل على الأفعال المؤدية لمعنى الحركة، حيث تدل هذه الميم على انتهاء الحركة إلي غاية، فالفعل ušabil بمعنى: بعث بإلحاق الميم هكذا: ušabilam بمعنى: بعث نوصل المبعوث به إلي الموضع المبعوث به إليه.

أما في العبرية فإن النون لا تلحق إلا قبل الضمائر المتصلة المنصوبة وذلك في مثل: ‹ebٜnenna أصلها: ‹ebٜnenha، ويستخلص برجشتراسر من الخصائص السابقة أن اللغة العربية تتميز عن سائر اللغات السامية حيث إنها خصصت معاني أبنية الفعل وتنويعها، وقد سلكت لتحقيق ذلك سبيلين :

الأول: اقترانها بالأدوات، وذلك نحو: قد فعل وقد يفعل، وسيفعل وفي النفي: لا أفعل، بخلاف: ما فعل، ولن يفعل، بخلاف لا يفعل، وما يفعل.

أما **الثاني**: فهو: تقديم (كان) على اختلاف صيغه، وذلك مثل: كان قد فعل، وكان يفعل، وسيكون قد فعل، وغير ذلك، ويذكر بأن يؤكد بأن ذلك من قبيل تنويع معاني الفعل في اللغة العربية تنوعا جليا عن بقية أخواتها من اللغات السامية الأخرى، ويقول برجشتراسر بأن هذا السلوك في أبنية الفعل في اللغة العربية يعد دليلا على سجية اللغة العربية وطبيعتها، فهى أبدا تؤثر المعين المحدود، على المبهم المطلق، وتميل إلي التفريق والتخصيص.(١)

وهو إذ يؤكد أن اللغة العربية من ثمة هى أكمل اللغات السامية وأتمها في تحديدها لصيغ زمنية متعددة للفعل على الرغم من كونها أحدثها من حيث ما يتوفر لدى الباحثين من وثائق تاريخية، ونقوش قديمة مسجلة!! لكنها اللغة التي تميزت

---

(١) انظر: التطور النحوي ٨٩-٩٠

بالانكشافات الزائدة عن غيرها، وأنها ابتعدت عن الأصل ابتعادا أكثر منها ويذكر بأن اللغة السريانية أقرب اللغات السامية إلي اللغة العربية، حيث تؤثر تقديم أدوات قبل الفعل وبعده، غير أن اللغة السريانية استخدمت اسم الفاعل واسم المفعول لتأدية بعض الأزمنة الفعلية[1]، ولسنا هنا بصدد التفصيلات التي أوردها النحاة العرب من قواعد نحوية، حول شروط عمل المشتقات عمل الفعل، ومن بينها بالتإلي: اسم الفاعل واسم المفعول.

ثانياً: التعريف والتنكير في اللغات السامية:

يذكر بروكلمان بأن اللغة السامية لم تكن تملك في الأصل، رمزا أو أداة معينة للتعريف، ولكننا نجد اللغتين: الأشورية والحبشية قد حافظتا على استخدام أدوات أو دلالات على التعريف والتنكير، ففي اللغة الحبشية مثلا: يستخدم الاسم المجرد للدلالة على التعريف الإشاري الدقيق، ومثال ذلك كلمة: yōm بمعنى اليوم، ولا تزال تلك الوسيلة للدلالة على التعريف، موجودة كذلك في اللغة العربية نجد كلمة āman› بمعنى عاما، أى " هذا العام " ومن أمثلة ذلك ما ورد في تاريخ الطبرى أيضا: سدوم يوما هلك " أى سدوم اليوم هلك. وكذلك ما ورد في عبارة: " فقال أبو قبيس: لا أسلم سنة " يريد: السنة، وما ورد في عبارة: " إنما عهدت بالعمل عاما أول " أى العام الماضي.[2] وفي اللغة العبرية في مثل كلمة attā› بمعنى: الآن.

وهو يذكر بأنه " فيما عدا ذلك، يوجد للتعريف في العربية الأداة: ال، وفي العبرية الأداة " ha اللتان توضعان في أول المعرف، وفي العربية الجنوبية: الأداة n وفي الآرامية الأداة a اللتان توضعان في آخر المعرف"[3]. أما في اللغة السريانية، فقد فقدت الأداة a قدرتها التعريفية، وأصبحت النهاية العادية للاسم، ولا تدل على التعريف إلا في المفعول المباشر، الذى ألحقت به السريانية لام الجر، ويذكر بروكلمان بأنه غالبا ما يعبر عن التعريف فيما عدا ذلك بالضمير المتصل، ففي الإنجيل تكتب الترجمة

(١) انظر: التطور النحوي٩٠ وثمة بعض التعقيبات حول مدى إدراك العلماء العرب للتحديد الزمني للفعل، ذكرها د/ إبراهيم السامرائي، انظر: فقه اللغة المقارن٥١ وما بعدها .
(٢) انظر: اللغات السامية ١٠٣، وتاريخ الطبري ٣٠٦/١، ٤٠٦/٢، ٣٥٦/٤
(٣) انظر: فقه اللغات السامية ١٠٣

السريانية القديمة كثيرا، تلاميذه حيث لا توجد في النص الإغريقى إلا " التلاميذ " وقد سارت اللغة الحبشية خطوة إلي الأمام، حيث يمكن للاسم فيها أن يعرف بضمير عائد عليه: مثل: be›esihu الرجل[1].

وفي حين تستعمل اللغة العربية الجنوبية (الحميرية) النون للدلالة على التعريف، في آخر الاسم المعرف فإن اللغة الآرامية تستخدم الألف المدودة في آخر الاسم كذلك[2].

ويرجح علماء اللغات السامية أن الأصل في أداة التعريف السامية هو: الهاء واللام، وهما عنصران يدخلان في تركيب كثير من أسماء الإشارة في اللغات السامية، غير أن هدا الأصل لم تحتفظ به أية لغة من اللغات السامية، ولذلك اختلف العلماء في تصورها، إذ نجد في العبرية الهاء وحدها مشكلة بالفتحة القصيرة هكذا: ha وما بعدها يأتي مشددا، إذا لم يكن حرفا من حروف الحلق، فإن كان واحدا من هذه الحروف لم يشدد، وأطيلت حركة الهاء في بعض الأحيان، عوضا عن التشديد. ويرى هؤلاء العلماء أن التشديد علامة على إدغام العنصر الثاني من عناصر أداة التعريف في أول حروف الكلمة المعرفة... وثمة تساؤل يتبادر يتطلب الإجابة عن ما هو ذلك العنصر الذي أدغم في هذا الحرف؟! وتأتى الإجابة بأن هذا العنصر لأداة التعريف في اللغة العربية هو اللام، ومن ثم فما المانع أن يكون كذلك الحال في العبرية، وتكون اللام هي ذاتها العنصر الذي أدغم فيها أيضا.

لكننا نجد العالم "أونجناد" يقول: بأن هذا العنصر الثاني هو النون، وليس اللام، لأن النون هى التي ينالها الإدغام كثيرا في العبرية، إلي درجة أن الأفعال التي فاؤها نون، قد كونت تصريفا بعينه في هذه اللغة مثل: nāṯan بمعنى: أعطى، ومثل: nāgaš بمعنى اقترب، ومثل nāfal بمعنى سقط.[3] ولعل السبب في هذا القول بالنون عند " أونجناد " يرجع إلي ما وجده من عنصر التعريف في اللغة الحميرية (العربية الجنوبية) هو النون التي تلحق آخر المعرف، وأن أداة التعريف في النقوش اللحيانية

(١) انظر: فقه اللغات السامية ١٠٣
(٢) انظر: المدخل إلي علم اللغة٢٤٢
(٣) انظر: المدخل إلي علم اللغة ٢٤٣

العربية، تظهر قبل الألف والعين في صورة: (هن) بصورة مطردة على الرغم من أنها هاء في العادة[١].

ويرى برجشتراسر بأن التعريف لا يوجد في اللغة الأكادية وكذلك الحال في اللغة الحبشية، فيما ورد إلينا من نقوش وكتابات لدى اللغتين، وأن التعريف خاص باللغات السامية الثلاث وهى: اللغة العبرية واللغة الآرامية واللغة العربية، ويذكر أن أدوات التعريف في هذه اللغات هما أداتان: الأولى hā من الهاء المحركة بالفتحة الطويلة في كل من اللغتين العبرية والآرامية، غير أنها تلحق بأول الكلمة في اللغة العبرية ومثالها: hammēleḵ، أصلها hāmeleḵ وتلحق بآخر الكلمة في اللغة الآرامية، ومثالها: malka وأصلها malkhā أما في العربية فهي: الـ al[٢].

وأما الذين يقولون بأن أداة التعريف السامية هي: الهاء واللام، فإنهم يقولون بأن الألف حلت محل الهاء فيها، في اللغة العربية، كما أن اللام تدغم كذلك في العربية فيما بعدها، إذا كان حرفا من الحروف الشمسية، وهى ١٤ أربعة عشر حرفا، ولا تدغم اللام في غيرها من الحروف العربية، التي يطلق عليها الحروف القمرية[٣].

وثمة أمثلة وردت حول تقابل الألف في اللغة العربية مع الهاء في اللغة العبرية، فالاستفهام في العربية بالألف، وفي العبرية بالهاء. وصيغة أَفْعِل في اللغة العربية تقابلها صيغة: hifʿīl في العبرية. وصيغة أُفْعِل، تقابلها صيغة hofʿal في العبرية.

ونجد في اللهجات العربية الحديثة، استخدام الهاء في اسم الإشارة وأداة التعريف بدلا من الألف، حيث يقولون: هليوم في اليوم، ويقولون: هرّجل في الرجل ويتساءل د. رمضان عبد التواب عما إذا كان هذا الاستعمال هو من قبيل الإبدال بين الألف والهاء في مثل ما ورد في أمثلة تراثية: " أراق وهراق، أى أنها عناصر قديمة، أو أنه اختصار من اسم الإشارة مع المعرف، ناتج بفعل السرعة في الكلام وأن أصل العبارة الأولى هذا اليوم، وأصل العبارة الثانية: هذا الرجل[٤]

---

(١) see: Rabin ،ancient west Arabian ٣٥

(٢) انظر التطور النحوي ١٤٣

(٣) المدخل إلي علم اللغة ٢٤٤-٢٤٥

(٤) انظر: المدخل إلي علم اللغة ٢٤٥

ولا يقتصر أمر التعريف في اللغة العربية عند حد ما ذكرناه من أداة الألف والهاء، وإنما وردت أمثلة قديمة تراثية، سواء في لهجات طيء والأزد وقبائل حمير في اليمن، حلت فيها جميعا الميم محل اللام في أداة التعريف، ومن ذلك ما رواه النمر بن تولب من حديثٍ لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " ليس من امبر امصيام في امسفر " بمعنى: ليس من البر الصيام في السفر. تلك الظاهرة المعروفة بالطمطمانية.[1]

أما التنكير في اللغات السامية، فإن بروكلمان يذكر بأن كلا من اللغة العربية الشمالية (العربية الفصحى) والجنوبية (الحميرية) تمتلك أداة أو رمزا للتنكير، وهى في العربية الجنوبية (الحميرية) الميم، التي يطلق عليها: التمييم، التي يرجح أنها مختصرة من: ما، بمعنى شيء ما، التي لا تزال مستعملة بهذا المعنى في العربية الشمالية، وأن الميم قد تحولت نونا في العربية الشمالية، ولا يزال هذا التمييم حيا جدا في الاستعمال، في البابلية – الآشورية، ولكن دون معناه الأصلي، ويرجع ذلك على الأرجح إلي أن الضمير ma ما، الذي بقيت نهاية التمييم مرتبطة به في الذوق اللغوي، لم يكن له معنى العموم، بل كان له معنى التفخيم والتعظيم.

كما يذكر بروكلمان بأن كلا من اللغتين الحبشية والعبرية، لا يوجد بهما هذه النهاية الدالة على التنكير، إلا ما ورد من ظروف متجمدة في مثل: temālem بمعنى: أمس، في اللغة الحبشية، وفي مثل: šilšōm بمعنى: قبل أمس في اللغة العبرية. ولا تزال هذه النهاية في اللغة الآرامية في مثل: ʿīmām بمعنى: نهارا، غير أنها عبارة عن جزء من الكلمة، ولذلك يأتى بعدها أداة التعريف في مثل: ʿīmāmā بمعنى: النهار[2]. وثمة بقايا للتمييم في العربية في كلمة: فم، وابنم، ومن ذلك قول المتلمس: [3](الطويل)

وهل لي أم غيرها إن هجوتها أبى الله إلا أن أكون لها ابنما

لقد أدرك العلماء العرب القدامى أن الأصل في التنوين هو الدلالة على التنكير، ولعل من هؤلاء العلماء ابن جني، حيث يقول: " ويدل عندي على أن حرف التعريف،

---

(١) انظر: تفصيلات حول الظاهرة السالفة: فصول في فقه العربية ١٢٨–١٣٠

(٢) انظر: فقه اللغات السامية ١٠٣–١٠٤ وانظر: العربية الفصحى ولهجاتها ٨٩ وما بعدها.

(٣) ديوان المتلمس ق ١/١٠ص٣٠

قياسه أن يكون على حرف واحد، أنه نقيض التنوين، وذلك أن التنوين يدل على التنكير، واللام تدل على التعريف."[1] ويقول – أيضا– " والتنوين علم التنكير، والإضافة موضوعة للتعريف "[2] كما يقول – كذلك – "التنوين دليل التنكير، والإضافة موضوعة للتخصيص"[3] وكذلك نجد السهيلى يقول: "التنوين علامة للانفصال، وإشعار بأن الاسم غير مضاف إلي ما بعده، ولا متصل به، وليس دخول التنوين في الأسماء علامة للتمكن، كما ظنه قوم."[4]

أما برجشتراسر فإنه يرى بأن " التنوين وإن كان علامة التنكير في كل ما بقى من مستندات في اللغة العربية، فربما كان في الأصل علامة للتعريف، فقد ذكرنا أن أصل التنوين هو التمييم، وإنا نرى للتمييم آثارا من معنى التعريف في الأكادية العتيقة، فإذا قال قائل: فكيف يمكن أن يصير ما كان يشير إلي شيء واحد في الأول مشيرا إلي ضده فيما بعد؟ قلنا إن مثل ذلك ليس بمحال في حياة اللسان وقد نشاهد في تاريخ اللغة الآرامية طبق ما فرضناه من تبادل التعريف والتنكير، وذلك أن أداة التعريف في اللغة الآرامية العتيقة فتحة ممدودة (طويلة) ملحقة بآخر الكلمة؛ نحو: šum، أى: اسم، و šmā، أى: الاسم، وربما كان أصل الفتحة المدودة (الطويلة) hā التي هى آلة التعريف في العبرية، غير أنها تلحق فيها بأول الكلمة، نحو: šēm، أى اسم، و haššēm أي: الاسم، وتشديد الشين فيها عوض عن مد الحركة (أي تطويلها)، ثم بعد ذلك صارت أداة التعريف في اللغة الآرامية، تخلق بالاستعمال الكثير، وتضعف قوتها المعرفة، ومثل ذلك كثير في تاريخ اللغات، فنجد الفتحة المدودة (الطويلة) في السريانية تلحق بأكثر الأسماء معرفة كانت أم نكرة، نحو: mḏīttaḥḏā، أي: مدينة واحدة، أو بالأحرى، إقليم واحد وبسبب ضعف آلة التعريف العتيقة، احتاجوا إلي وسائل جديدة لتأدية التعريف، فاخترعوا كثيرا منها في اللغات الآرامية، على اختلافها، فأدى ذلك إلي أن كل كلمة لا يوجد معها إحدى تلك الأدوات الجديدة،

(١) المنصف ٦٩/١
(٢) الخصائص ٦٥/٣
(٣) الخصائص ٢٤٠/٣
(٤) الأمالي: للسهيلى٢٤.

تُتلقى كأنها نكرة، وإن ألحقت بآخرها الفتحة الممدودة (الطويلة) فصارت هى علامة للتنكير[1] .

ثالثاً: الجنس (التذكير والتأنيث)

يذكر برجشتراسر أن التذكير والتأنيث من المسائل الغامضة المشكلة، التي لم يصل العلماء المستشرقون إلي حل بشأنها، على الرغم من الجهود الشديدة المبذولة في ذلك.[2]، ويذكر بروكلمان أن اللغات السامية تفرق بن نوعى الجنس: المذكر والمؤنث وفي حين يعبر عن الأول عادة بالكلمة الأصلية المجردة، كما يفترق الثاني عن الأول في معظم الأحوال، بنهاية تتصل به، غير أنه يرجح أن هذه التفرقة ليست لها علاقة في الأصل بالتذكير والتأنيث الحقيقي، كما يذكر أنه في الحالات التي يلفت فيها الجنس الحقيقي النظر، ويسترعى الملاحظة حتما تفرق اللغة بين الجنس لا بوسيلة نحوية، ولكن بكلمة من أصل آخر، ويذكر لذلك مثالا بقوله: قارن في السامية الأولى: حمار و"أتان " وفي العربية: حصان وفرس، وفي العبرية: ʾāyil› بمعنى: كبش، rāḥēl بمعنى: نعجة، وغير ذلك.[3] أما في السريانية فإن كلمة: gadyā بمعنى جدي، تقابل: ezzā›، بمعنى عنز، وكذلك في الآشورية فإن كلمة: gadu بمعنى جدي تقابل كلمة: enzu›، بمعنى عنز، وكذلك الحال في الحبشية، فإن كلمة: ab› بمعنى أب، تقابلها كلمة: ēm› بمعنى أم.. ونحو ذلك كثير.[4]

فاللغات االسامية القديمة إذن كانت تفرق بين الجنس بنوعيه: المذكر والمؤنث، بكلمة يختص بها جنس التذكير، وأخرى يختص بها جنس التأنيث، ولم تكن الوسائل النحوية بأدواتها ولواحقها هى الوسيلة النحوية التي كان الساميون القدامى يستعملونها للتفريق بين الجنسين.

وقد أدرك العلماء العرب هذا التفريق بين الجنسين، فقد ذكر الشيخ بهاء الدين بن النحاس أنه " كان الأصل أن يوضع لكل مؤنث لفظ غير لفظ المذكر. كما قالوا: عَيْر

---

(١) انظر: التطور النحوي ١١٨-١١٩، وانظر: نظرة في التنوين للدكتور/ إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن ١٣٩-١٥١.
(٢) انظر: التطور النحوي ١٠٤
(٣) انظر: فقه اللغات السامية ٩٥
(٤) انظر: المدخل إلي علم اللغة٢٥١

وأتان، وجدْى وعَنَاق، وحمل ورخِل وحصان، وحِجر، إلي غير ذلك، لكنهم خافوا أن يكثر عليهم الألفاظ، ويطول عليهم الأمر. فاختصروا ذلك، بأن أتوا بعلامة، فرقوا بها بين المذكر والمؤنث، تارة في الصفة كضارب وضاربة، وتارة بين الاسم، كامرئ وامرأة، ومرء، ومرأة في الحقيقى، ثم إنهم تجاوزوا ذلك إلي أن جمعوا في الفرق بين اللفظ والعلامة، للتوكيد وحرصا على البيان، فقالوا: كبش ونعجة، وبلد ومدينة.[١].

وقد قصر بعض العلماء على الحيوانات دون سواهم من المخلوقات، وأن إطلاقه على غيرهم، إنما هو من قبيل المجاز، ومن هؤلاء العلماء: العلامة الفيلسوف ابن رشد الذي يقول: " والتذكير والتأنيث في المعاني، إنما يوجد في الحيوان، ثم قد يتجوز في ذلك، في بعض الألسنة، فيعبر عن بعض الموجودات بالألفاظ، التي أشكالها أشكال مؤنثة، وعن بعضها بالتي أشكالها أشكال مذكرة، وفي بعض الألسنة، ليس يلفي فيه للمذكر والمؤنث شكل خاص، كمثل ما حكى أنه يوجد في لسان الفرس، وقد يوجد في بعض الألسنة أسماء هي وسط بين المذكر والمؤنث، على ما حكي عنه أنه يوجد كذلك في اليونانية.[٢].

أما د. إبراهيم أنيس فإنه يذكر أن ثمة بعض اللغات لم تعمد إلي تقسيم الجنس إلي مذكر ومؤنث، وإنما قسمته إلي أسماء أحياء وأسماء جمادات " ومثل ذلك مجموعة البانتو في جنوب أفريقيا، ففي هذه اللغات يراعى المتكلم في صيغ الأسماء التفرقة بين الحي والجماد."[٣] وقد ذكر ذلك – أيضا– فندريس في لغة الألجونكين Algonquin، حيث إنها تميز بين جنسين، أحدهما: جنس حى، والآخر غير حى"[٤].

وأما بروكلمان فإنه يبين أنواعا متعددة للجنس في اللغات الإنسانية، وليس الأمر مقصورا على وجود نوعين أو ثلاثة حيث يقول: " وفي اللغات البدائية ليس هناك نوعان فحسب من الجنس، كما في اللغات السامية، ولا ثلاثة أنواع كما في اللغات

(١) انظر: الأشباه والنظائر ٣١/١
(٢) تلخيص الخطابة ٥٦٩
(٣) من أسرار اللغة٩١
(٤) اللغة: لفندريس ١٣١

الهندوأوربية، بل فيها –غالبا– أنواع كثيرة، يفترق بعضها عن بعض نحويا، وتتوزع فيها كل أشياء العالم المحسوس، ويرجع هذا التوزيع في الأساس إلي تأملات خرافية، على قدر ما يبدو للرجل البدائي، أن العالم كله من الأحياء. "[1] ويعقب على ذلك د. رمضان عبد التواب موضحا أن هذه التأملات الخرافية التي ذكرها بروكلمان ليست مقصورة فحسب على اللغات التي توهمت هذا التعدد في الجنس، بما لا ينحصر في المذكر والمؤنث وحدهما، إذ إننا لا نجد في كثير من الأحيان صلة عقلية منطقية بين الاسم، وما يدل عليه من تذكير أوتأنيث، والدليل على فقدان هذه الصلة العقلية أن من اللغات ما يعد بعض الكلمات مؤنثا، وهى مذكرة في لغات أخرى، والعكس بالعكس، فمثلا تعد اللغة العربية كلمات مثل: الخمر، والسِّن، والسّوق كلمات مؤنثة في حين تعدها اللغة الألمانية كلمات مذكرة، فهي في هذه الأخيرة على النحو الآتي derMarkt، der zahn der wein.

ونجد – أيضاً– أن اللغة العربية تعد مثل الكلمات الآتية: " الصدر" و"الأنف" و " اللسان" كلمات مذكرة، وهى على العكس من ذلك في اللغة الألمانية فهى كلمة مؤنثة هكذا Die zunge، die Nase، die Brust .

ويذكر – أيضا– بأننا نلحظ بأن اللغات التي تفرق بين ثلاثة أجناس: المذكر، والمؤنث والمحايد، أن فيها أيضا فقدانا لهذه الصلة العقلية المنطقية، كما هو الحال في اللغة الألمانية، ولعل من أمثلتها كلمة: " الحجر der stein، والمطر der Regen، فهما كلمتان مذكرتان فيها على الرغم من أنه ليس في الكلمتين أى أثر للتذكير الحقيقي، وأولى بهما وفقا للتقسيم الجنسي في هذه اللغة، أن تكون الكلمتان من القسم المحايد.

وكذلك الحال في الكلمتين " العالم " die welt، و" الباب "die tur فهما كلمتان مؤنثتان في اللغة الألمانية، ولسنا نجد فيهما أى أثر من آثار تقسيمها ضمن جنس: المؤنث الحقيقي[2]، لقد أدى هذا الانفصال بين الصلة العقلية والمنطقية لمثل هذه الكلمات وأسمائها، وبين مدلولاتها من حيث الجنس الذي تنتسب إليه أن يهتز هذا

(١) فقه اللغات السامية ٩٥.
(٢) انظر: المدخل إلي علم اللغة ٣٥٥

المدلول في أذهان أصحاب اللغة، وهذا هو الذي أدى إلي توهم أصحاب اللغة أن كلمة مثل: مستشفي، كلمة مؤنثة، على الرغم من كونها كلمة مذكرة، ولعل تأنيثها إنما جاء من قبيل القياس على كلمة أخرى مرادفة لها وهى كلمة استبالية، وهى كلمة ليست عربية " وإنما هي معربة من كلمة من اللغات الأوربية، ألا وهى: Histople وكذلك الحال في توهم أن كلمة: السلم إنما هي كلمة مذكرة، وهذا توهم خاطئ، فهي كلمة مؤنثة، بدليل قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**﴾ (الأنفال: ٦١/٨) ولعل هذا هو السبب في أن كثيرا من الكلمات التي وردت إلينا على أنها مؤنثات سماعية في اللغة العربية، وهى خالية من علامات التأنيث، ورد فيها أيضا أنها مذكرة، وأن وردت كذلك منسوبة إلي قبائل عربية على أنها مؤنثة، ومنسوبة إلي قبائل أخرى على أنها مذكرة[(١)].

ومن ذلك ما ذكره أبو زيد من أن أهل تهامة يقولون: " العُضُد والعُضْد، العُجُز والعُجْز، ويؤنثونهما، وتميم تقول: العَجُز والعَضُد ويذكرون "[(٢)].

وقد ذكر مثل ذلك برجشتراسر، حيث يقول: ونجد كثيرا من الأسماء المؤنثة مجردة من كل علامة (أي من علامات التأنيث الثلاث وهى: التاء والألف المقصورة والألف الممدودة) فتشبه المذكرات، وليس الأمر مقصورا على الأسماء الموصوفة، ويمثل لذلك بكلمة الأم، واليد، بل إنه أيضا يذكر أمثلة للأسماء الموصوفة، ومثالها كلمة: امرأة حامل، وامرأة قتيل، ويستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ**﴾(سورة الأعراف٥٦/٧) وكذلك الحال بالعكس، فثمة بعض الأسماء التي ألحقت بها تاء التأنيث مذكرة، ومن ذلك قولنا: العلامة والخليفة والراوية... ونحو ذلك[(٣)].

كما يذكر أن الجمع وبخاصة جمع التكسير، يأتى للدلالة على جمع التذكير تارة، وعلى جمع التأنيث تارة أخرى، كما أننا نجد الجمع السالم للمذكر، وقد ألحق بالمؤنث، ومثاله: أرض: أرضون، وسنة: سنون، ومائة: مئون، وعلامة المؤنث منه

---

(١) انظر: المدخل إلي علم اللغة ٣٥٥
(٢) انظر: الغريب المصنف٣٦١/٢
(٣) انظر: التطور اللغوي ١١٣

تلحق بالاسم المذكر ومثاله أيضا كثير، ومنها: اصطلاح: اصطلاحات، ومخلوق: مخلوقات[1].

فليس ثمة أدنى مراعاة لمدلول الذكورة أو لمدلول الأنوثة، في أسماء كثير من الحيوانات، فمثلا الضبع والأرنب والعقاب والأفعى والعقرب، فقد اختلف العلماء حول أيها مذكر وأيها مؤنث! وأما الكلمات المؤنثة بعلامة التأنيث في مثل: الشاة والحمامة وغيرها، فكلها كلمات مؤنثة دلت على حيوان ذكر أو على حيوان أنثى على السواء! وكما يذكر برجشتراسر فإنه من المحال أن يكون تقسيم الاسم إلي مذكر ومؤنث، وذلك عن طريق استخدام اللواحق المستعملة في اللغات السامية، من المحال أن يكون تقسيما أصليا في هذه اللغات، وإننا نفترض – فحسب– أن تكون الأسماء قد قسمت في الزمان القديم تقسيما، وأنها قسمت تقسيما آخر أكثر تفرعا في الزمن الحاضر، ولسنا نعرف على وجه اليقين أي التقسيمين هو الممثل للأصل في اللغات السامية[2].

إنه بالنظر إلي تاريخ اللواحق الدالة على التأنيث وهى: التاء المفتوح ما قبلها، وألف التأنيث المقصورة، وألف التأنيث الممدودة، فإننا نؤكد بأن التاء تلك العلامة التي يمكن وصفها بالأولى، وهى أهم تلك العلامات الثلاث وأكثرها انتشارا في اللغات السامية، بل وربما تكون هى العلامة الأصلية، وأنها في أصل نشأتها عنصر من عناصر الإشارة على نحو ما ذكر بروكلمان.[3] ومما يؤكد كونها أقدم هذه العلامات وجودها في الفعل في مثل: فعلت، كثيرا ما كانت الفتحة تحذف في اللغة السامية الأم، ولم يبق من ذلك في العربية إلا القليل، نحو: " بنت مؤنث ابن، وكلتا: مؤنث كلا، وأخت: مؤنث أخ في اللغة العربية، وأما في اللغة الحبشية، فنجد كلمة rest بمعنى ميراث، وكلمة: habt، بمعنى: هبة، وكذلك الحال في اللغة الأكادية في مثل كلمة: šartu بمعنى: شعر، وكلمة: bēltu بمعنى زوجة / سيدة / بعْلة[4].

وإذا كان كل من ابن جني والزمخشري وغيرهما من العلماء العرب، يرون بأن التاء الساكن ما قبلها ليست للتأنيث، حيث يقول ابن جنى: " أخت وبنت ليست التاء

---

(١) انظر: التطور النحوي ١١٤

(٢) انظر: التطور النحوي ١١٤– ١١٥

(٣) Brockelmann: Grundriss ٤٠٥

(٤) انظر: التطور النحوي ١١٥، والمدخل إلي علم اللغة ٢٥٦

فيهما بعلامة تأنيث، كما يظن من لا خبرة له بهذا الشأن، لسكون ما قبلها. هكذا مذهب سيبويه، وهو الصحيح، وقد نص عليه في باب ما لا ينصرف..."[1]، ثم يذكر أن سيبويه لم يلتزم بذلك على الوجه المطلق، فيقول: " على أن سيبويه قد تسمح في بعض ألفاظه في الكتاب فقال: هما علامتا تأنيث، وإنما ذلك تجوز منه في اللفظ! [2].

فقد نبه برجشتراسر إلي خطأ هذه الفكرة التي ذكرها الزمخشري بقوله: " وذكر الزمخشري أن التاء في الأخت والبنت أبدلت من الواو، وذلك أنه ظن أن مادتهما: أخو، وبنو، وأن التاء أصلية، لام الفعل قامت مقام الوأو، ونحن نعرف أن الأخ والابن من الأسماء القديمة جدا، التي مادتها مركبة من حرفين فقط، لا من ثلاثة أحرف، وأن التاء وإن لم تسبقها فتحة هي تاء التأنيث، فهي في غير اللغة العربية، وخصوصا في اللغة الأكادية والعبرية كثيرا(ت) لا فتحة قبلها[3]. ويذكر بروكلمان بأن كلا من اللغتين الآشورية والحبشية، قد احتفظت بنهاية التأنيث الأولى، ألا وهى التاء المفتوح ما قبلها: at دونما تغير أو تحول. في حين نجدها في اللغة العربية وقد تغيرت أو تحولت إلي هاء، عند الوقف، أو في نهاية الجملة الواقع عليها النبر بشدة إلي الهاء الساكنة هكذا: ah[4] فيقال مثلا في اللغة العربية عند الوقف: سيارة كبيره، فتاة صغيره، وصورة جميله، ونظرة دقيقه، وغيرها.

وليس ثمة علاقة صوتية، بين الصوتين، التاء والهاء من حيث القرابة المخرجية، تسوغ لنا القول بهذا التحول أو التغيير. فالتاء من الأصوات الأسنانية اللثوية، وهو مخرج أمامي متقدم. في حين أن الهاء: صوت حنجري، وهو مخرج متأخر للداخل، بل هو مع الهمزة من أعمق الأصوات في العربية مخرجا، إن لم نقل: أعمقها. وأن ما حدث هو سقوط التاء من النطق في الكلمات السابقة جميعا، وفي نظيراتها في الجمل عند الوقف. ففي كلمة: صغيرة، بالوقف عليها تحولت إلي: صغير. بسقوط التاء، وبقاء الفتحة قبلها على الراء أى يبقى المقطع الأخير مفتوحا بحركة قصيرة، وهو من

(١) سر صناعة الإعراب: ١٦٥/١، وانظر: الكتاب ١٣/٢؛ ٨٢/٢، ٢٤٨/٢، والخصائص ٢٠٠/١
(٢) انظر: سر صناعة الإعراب ١٦٥/١ وانظر الكتاب ١٣/٢؛ ٣٤٨/٢؛٨٢/٣
(٣) التطور النحوي: ٥١
(٤) انظر: فقه اللغات السامية ٩٦

المقاطع غير المألوفة في نهاية الكلمات في العربية، فلجأت إلي إغلاقه، بامتداد النفس عن طريق هاء السكت.

وليس الأمر مقصورا في جلب هاء السكت لإغلاق المقطع المفتوح بحركة قصيرة، وإنما يحدث ذلك في إطار ظواهر صوتية، تستوحيها ضرورات الأداء الفعلي والسياق اللغوي، وأن النبر الطارئ على المقاطع الصوتية هو السبب في تغير التنظيم المقطعي، ومن ثمة الإتيان بهاء السكت، لإغلاق المقطع الطويل المفتوح أيضا ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ**﴾(الحاقة/٢٠) فكلمة: حسابية في أصل التركيب المقطعي لها هو: حسابي: التي تتألف من: ص ح + ص ح ح + ص ح ح، اقتضت ضرورات الأداء القرآني الكريم، الإتيان بهاء السكت فتغيرت مواضع النبر، ومن ثمة، تغير تنظيمها المقطعي، بتحول المقطع الأخير الطويل المفتوح إلي تركيبين مقطعيين هما: ص ح + ص ح ص، حيث قصرت الحركة الطويلة في نهاية الكلمة وهى: الياء (الكسرة الطويلة) إلي مجرد كسرة قصيرة، وجلبت هاء السكت لإغلاق المقطع للحفاظ على إيقاع الفاصلة القرآنية الكريمة. فنشأت المقطع الطويل المغلق ص ح ص[١].

وهكذا رسمت التاء في الكتابة هاء، لأنها الصوت المنطوق في الكلمة، حيث إن الصوت المنطوق ينبغي أن يمثل كتابة برمز هذا الصوت، وهذا هو ما نص عليه السيوطي إذ يقول: " الأصل رسم اللفظ، أى كتابته بحروف هجائية يلفظ بها مع تقدير الابتداء به والوقف عليه"[٢]. ويقول أيضا: "القاعدة العربية أن اللفظ يكتب بحروف هجائية، مع مراعاة الابتداء به والوقف عليه."[٣] وكذلك الحال عند ابن الحاجب إذ يقول: "والأصل في كل كلمة أن تكتب بصورة لفظها بتقدير الابتداء بها والوقف عليها"[٤]. ويذكر بروكلمان أن هذه الصيغة الخاصة بالوقف قد انتقلت إلي الكلام المتصل في كل من اللغتين: الآرامية والعبرية، ثم تحولت فيهما إلي: a على حين لم تبق النهاية: at، إلا عند الاتصال بالمضاف إليه. ومن أمثلتها في اللغة الآرامية كلمة:

---

(١) انظر: الفونيمات التطريزية في العربية ٤٩
(٢) التحفة البهية والطرفة الشهية ٥٤
(٣) الإتقان ١٦٦/٢
(٤) شرح الشافية ٣١٥/٣

bisa بمعنى رديئة، وفي اللغة العبرية كلمة: yaldā بمعنى: بنت[1]. كما حدث مثل ذلك – أيضا– في اللهجات العربية المعاصرة في مثل ما أسلفنا من قولنا صورة جميلة: sura gamīla... وغيرها من الأمثلة.

وليس هذا التحول أو التغير لصوت التاء إلي هاء، ثم تحوله إلي الفتحة في اللهجات العربية المعاصرة فحسب، وإنما وردت أمثلة ذكرها العلماء، نذكر منها ما أورده الفراء رواية عن العرب بأنها لغة حيث يقول: "هذه طلحة قد أقبلت، وأنشد على هذه اللغة قول الراجز: (الرجز)

لما رأي أن لادِعهْ ولاشِبَع مال إلي أرطاة حقف فاضطجعْ[2]

ويذكر د. رمضان عبد التواب أن التاء هي العلامة الأصلية للتأنيث في اللغات السامية جميعا، ودليله على ذلك أنها تعود للظهور مرة أخرى عند اتصالها بمضاف إليه، فالتراكيب الإضافية تحتفظ بالعناصر اللغوية القديمة، أو كما يقول اللغويون العرب القدامى: الإضافة ترد الأشياء إلي أصولها، ويمثل لذلك بأمثلة من اللغة العبرية وذلك في التعبير الإضافي yaldaṯ mōšē بمعنى: بنت موسى، وفي اللغة الآرامية التعبير الإضافي malkaṯhōn بمعنى مَلِكَتُهُمْ. وفي اللغة العربية الحديثة: شجرة التوت، وجنية البحر[3]

كما بقيت التاء للتأنيث في اللغة الآرامية قبل أداة التعريف التي تتعلق بآخر الكلمة: a ؛ لأنها لم تتطرف فتسقط، ومن أمثلتها الكلمة: šappīrta بمعنى الجميلة على نحو ما ذكر بروكلمان[4].

وأما علماؤنا العرب من النحاة فقد ذكر علماء المدرسة البصرية أن أصل علامة التأنيث هو التاء وأنها تقلب هاء عند الوقف، أما علماء المدرسة الكوفية فإنهم يرون أن الهاء هي أصل علامة التأنيث. وهذا ما ذكره سيبويه رائد مدرسة البصرة في زمانه إذ يقول " وأما الهاء فتكون بدلا من التاء التي يؤنث بها الاسم في الوقف، كقولك هذه

(١) انظر: فقه اللغات السامية٩٦
(٢) معاني القرآن للفراء ٣٨٨/١
(٣) انظر: المدخل إلي علم اللغة ٢٥٩
(٤) انظر: فقه اللغات السامية ٩٦

طلحة"[1]. وهذا ما ذكره رائد مدرسة الكوفة أيضا في زمانه بقوله: "وأما الهاء فتبدل من التاء الداخلة للتأنيث نحو: نخلة وتمرة، إنما الأصل التاء، والهاء بدل منها في الوقف"[2]. وهذا هو ما ذكره الشيخ بهاء الدين بن النحاس بقوله: "أجمع النحاة على أن ما فيه تاء التأنيث يكون في الأصل تاء وفي الوقف هاء، على اللغة الفصحى، واختلفوا أيهما بدل من الأخرى، فذهب البصريون إلي أن التاء هي الأصل وأن الهاء بدل عنها، وذهب الكوفيون إلي عكس ذلك، واستدل البصريون بأن بعض العرب يقول التاء في الأصل والوقف كقوله: (الرجز)

الله نجاك بكفيّ مَسْلَمَتْ

ولا كذلك الهاء، فعلمنا أن التاء هي الأصل وان الهاء بدل عنها وبأن لنا موضعا قد ثبتت فيه التاء للتأنيث بالإجماع وهو في الفعل نحو: "قامت" و "قعدت"، وليس لنا موضع قد ثبتت فيه الهاء، فالمصير إلي أن التاء هي الأصل أولى، لما يؤدي قولهم من تكثير الأصول، واستدلوا أيضا بأن التأنيث في الوصل، الذي هو محل التغيير فالمصير إلي أن ما جاء في محل التغيير، هو البدل أولى من المصير إلي أن البدل ما ليس في محل التغيير[3].

ويتساءل ابن جني حول إنكار المنكرين لأصالة الهاء بقوله: "ما تنكر أن تكون الهاء هي الأصل، وأن التاء في الوصل إنما هي بدل من الهاء في الوقف؟ فالجواب عن ذلك أن الوصل من المواضع التي تجري فيها الأشياء على أصولها وأن الوقف من مواضع التغيير والبدل "[4].

العلامة الثانية للتأنيث في اللغات السامية وهي ألف التأنيث المقصورة: وهي من علامات التأنيث الشائعة في اللغة العربية، وبخاصة في صيغة فعلى مؤنث أفعل الدال على التفضيل، في مثل قولنا: صغرى، كبرى، فضلى.. وغيرها، مذكر اصغر وأكبر وأفضل.

---

(١) الكتاب ٣١٣/٢

(٢) المقتضب ٦٣/١

(٣) انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي ٤٦/١

(٤) المنصف لابن جني ١٥٩/١، ١٦١/١ وشرح المفصل لابن يعيش ٨٩/٥ وشرح الشافية ٢٨٨/٢

وأما في اللغة العبرية فمثالها كلمة: śāray، وكلمة: sārā بمعنى سارة، وأما في اللغة الآرامية فمثالها كلمة: tu‹yay بمعنى ضلالة وعلامتها فيها هي اللاحقة: ay[1]. ويذكر برجشتراسر أن هذه العلامة: ay قد تطورت في بعض الكلمات العبرية والآرامية القديمة إلي e ومثالها في اللغة العبرية كلمة eśre‹ بمعنى عشرة، (وهي العشرة المركبة مع الآحاد) ومثالها في اللغة الآرامية القديمة كلمة oḥore بمعنى: أخرى[2].

العلامة الثالثة للتأنيث في اللغات السامية وهي ألف التأنيث المدودة: وتتجلى في صورة بنية: فعلاء، مؤنث صيغة: أفعل للمذكر التي تدل على الألوان والعيوب الجسمية في اللغة العربية وأمثلتها كثيرة منها حمراء وخضراء وبيضاء، على وزن فعلاء للمؤنث ومذكرها على التوإلي: أحمر وأخضر وأبيض، على وزن: أفعل للمذكر وكذلك: عرجاء وعمياء وشقراء ومذكرها على التوالي: أعرج وأعمى وأشقر. ويذكر بروكلمان أن هذه الصيغة "فعلاء" لم تبق في اللغة العبرية إلا في أسماء الأماكن وذلك في مثل: silo بمعنى: اسم مكان[3].

ومن الملاحظ أن التاء علامة التأنيث في العربية قد حلت في لغة الخطاب العادي (العامي) في لهجات الخطاب الحديثة محل العلامتين الأخريين وهما: ألف التأنيث المقصورة وألف التأنيث المدودة، فهم يقولون في: حمراء وخضراء وبيضاء في الألوان: حمره وخضره وبيضه، ويقولون في: عمياء وعرجاء في العيوب عميه وعرجه. كما يقولون في: صحراء وميناء ونحوها في الأماكن: صحره ومينه ونحوها في وزن فعلاء بألف التأنيث المدودة، وكذلك الحال في ألف التأنيث المقصورة فيقولون في: حبلى وسلمى وعدوى وفتوى يقولون: حبله وسلمه وعدوه وفتوه ونحوها.

وليس الأمر مقصورا في اختفاء العلامتين: الثانية والثالثة وحلول العلامة الأولى محلهما على اللهجات الحديثة، وإنما قد حدث مثل ذلك في لهجات الخطاب العامي

---

(١) See ،Brockelmann: Grundriss ،١٤١

(٢) انظر: التطور النحوي ١١٥

(٣) انظر: فقه اللغات السامية ٩٦

عند القدماء، وما ورد في لهجة الأندلس لدليل على ذلك، في القرن الرابع الهجري، فقد ذكر أبو بكر الزبيدي في كتابه "لحن العوام" أن الأندلسيين كانوا يقولون في عصره: مينه وحلوه ودفله وحباره في: ميناء وحلواء ودفلى وحبارى[1].

ويمكننا تفسير هذا الاختفاء أو الاندثار بالأحرى لكل من علامتي التأنيث المقصورة والممدودة في ضوء قانون السهولة والتيسير فيما يطلق عليه: القضاء على التفريعات الكثيرة والأنواع المختلفة للظاهرة الواحدة في داخل اللغة، وكما حدث مثل ذلك في اللهجات العربية الحديثة فإن اللغة العربية الفصحى قد حدث فيها مثل ذلك، ومن ذلك قول الطرماح ابن الحكيم[2]: (الطويل)

كأني إذا باشرت سلمة خاليا على رملة ميثاء للمتبطح

ويقول شارح الديوان قوله سلمة أراد سلمى، فالهاء والتاء عنده بمنزلة واحدة. وثمة نصوص أخرى ذكرها د. رمضان عبد التواب في كتب التراث العربي وردت فيها لفظة: الأولى بألف التأنيث المقصورة مكتوبة بتاء التأنيث، حيث ورد في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وقد رجعنا عن الرواية الأولة[3].

كما ورد في الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين للحافظ مغلطاي: "ثم جعلت الصورة الأولة في صدر المجلس"[4] كما ورد في الجامع لأخلاق الراوي: "وقد اختلف في المستحق منهما لأن يضرب عليه: الأولة أم الثانية؟ "[5]، وقد رواها ابن فارس لغة للعرب فقال: "الأول والمؤنثة الأولى.وقد قالت العرب للمؤنثة أولة وجمعوها: أولات. يقول أبو زيد: ناقة أولة وجمل أول إذا تقدما الإبل."[6]، كما وضعها الزمخشري في أساس البلاغة على أنها من الفصيح فقال"وتقول: جمل أول وناقة أولة إذا تقدما الإبل."[7].

---

(١) انظر: لحن العامة والتطور اللغوي ٢٣٠-٢٣١
(٢) ديوانه (تحقيق كرنكو) ق ٥/١ ص٦٩
(٣) تاريخ بغداد ١٨/٥
(٤) الواضح المبين ١٩٧
(٥) الجامع لأخلاق الراوي ٢٧٦/١
(٦) مقاييس اللغة١٥٨/١
(٧) أساس البلاغة ٢٥/١ وانظر: التطور اللغوي ٨٨

ثمة آثار في اللغة العربية وردت بها لاحقة تأنيث رابعة وهي: i كما وردت في اللغة العربية، ومن أمثلتها كلمة: يا لكاعِ. أي: يا امرأة لئيمة، وكلمة فطامِ اسم علم لنساء، وكلاهما من الكلمات المبنية على الكسرة القصيرة ويذكر برجشتراسر أنها كانت طويلة في الأصل ويذكر أنه ربما كان منها كلمة: " كراهية" و"عفريت" بإلحاق تاء التأنيث بالياء، وفي الأولى قبل التاء فتحة على العادة والثانية لا فتحة فيها.[1].

رابعًا: المثنى والجمع في اللغات السامية:

١- التثنية:

تدور ألفاظ التثنية في اللغة العربية بكثرة واضحة وجلية، وذكر برجشتراسر بأنها قد اتسع فيها حيزها الأصلي، في اللغة السامية الأم، وكذلك في أكثر اللغات التي توجد فيها كالهندية والإيرانية والعربية، وأن التثنية كانت تشير إلي شيء مع شيء آخر شبيه به، يرافقه طبعا، ويقول برجشتراسر أن ذلك يكون أكثر في أعضاء البدن، فاليدان، معناهما الأصلي: اليد الواحدة مع الأخرى أي: الزوج منهما. فالشيئان هنا مثلان. وليس الأمر هنا مقصورا على الشيئين المرتبطين ببعضهما من حيث الشبه الحقيقي، بل يمكن أن يكون ذلك نحو فكري، ومثال ذلك: القمران، أي: القمر و الشمس معا زوج وكذلك: العمران، أي: أبو بكر الصديق ﷺ وعمر بن الخطاب ﷺ يؤلفان معا زوجا، كما استعاروا التثنية في معنى العدد المجرد عن الزوجية ومن ذلك قولهم: يومان، على الرغم من عدم الارتباط بهما [2].

ويذكر بروكلمان بأن المثنى في اللغات السامية أصلا للدلالة على الأزواج الطبيعية كالأعضاء المزدوجة، غير أنه أصبح فيما بعد، يعبر كذلك عن التثنية مطلقا، ويذكر بأن المثنى ينتهي بالنهاية: à وay. وهما في اللغة العربية لحالة الإضافة من ناحية ومن ناحية أخرى للتفرقة بين حالات الإعراب.

ويذكر بأن العلامتين في حالة الإطلاق، فإنهما يتصلان بالمثنى، وأن هذا ما يحدث في كل من اللغة العبرية واللغة الآرامية حيث تؤكد العلامة: ay في الإطلاق بالميم أو بالنون.

---

(١) انظر: التطور النحوي ١١٥

(٢) انظر: التطور النحوي ١٠٢

ويذكر بروكلمان بأن المثنى يكاد ينتشر في اللغة الآرامية، على حين يوجد في آرامية العهد القديم وذلك في مثل: Yādāyim بمعنى: يدان، ولا يوجد في السريانية إلا في الأعداد وذلك في مثل: trēn بمعنى: اثنان، وفي مثل: maṯēn بمعنى: مائتان. وفي الآشورية: à هي النهاية المعتادة للمثنى سواء المطلق المؤكد بالنون منها، وذلك في مثل apšān› بمعنى: حيلان، أو المتصل بضمير متصل في مثل: Īnāšu بمعنى: عيناه. ولا وجود للمثنى في الحبشية إلا في بقايا متجمدة وذلك في صورة النهاية: " à " وذلك في كلمة: eśrā› بمعنى: عشرون وأيضا في صورة النهاية: "ē"المحولة من " ay " وذلك في الكلمة: Kel›ē بمعنى: اثنان، وفي الكلمة ḥaḳwē بمعنى: حقو التي فقد فيها معنى التثنية، وكذلك في الصيغ المتصلة بضمير متصل، وذلك في مثل الكلمة: edēhu› بمعنى: يداه، وغير ذلك.(١)

فالتثنية على هذا النحو، تعد من السمات التي تتسم بها اللغات السامية، وأنها تتكون بنهايات تكاد تكون موحدة في جميع هذه اللغات على الرغم من الفوارق الضئيلة، بقصرها على أعضاء الجسم، كما هو الحال في اللغة الآرامية، أو بضيق استعمالها كما في الآشورية، وقصرها على أعضاء الجسم في النصوص البابلية وكذلك الحال في اللغة العبرية، غير أنها تستعمل المثنى –أيضا– في الأشياء والأدوات التي تتألف من شقين كالمقص والميزان مثل يدايم: yadayim وثمة كلمات دلت على الجمع لكنها جاءت على صورة صيغة المثنى وذلك في مثل: شمايم، بمعنى: سموات، وكلمة: مايم، بمعنى مياه، كما توجد في اللغة العبرية كلمات تدل على المفرد لكنها وردت بصورة أو بصيغة المثنى، ومثالها كلمة صهورايم، بمعنى الظهيرة.(٢)

أما اللغة العربية فقد تميزت بشيوع التثنية وصيغها في ألفاظها وتراكيبها، وأن هذا الشيوع قديم فيها، على الرغم من عدم ثبات قواعده في النصوص التراثية اللغوية القديمة.

---

(١) انظر: فقه اللغات السامية٩٩

(٢) انظر: فقه اللغة المقارن ٨٠

ففي قوله تعالى: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا**﴾ (سورة آل عمران ٣/ ١٣) حيث نجد فيها تطابقا بين صيغة الاسم وصيغة الفعل (المسند إليه المتقدم والمسند المتأخر).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿**أَوَ لَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾ (سورة الأنبياء٢١/٣٠) حيث تم التطابق بين صيغ الاسم فيها وصيغ الفعل، حيث تمثل نقطة: السموات والأرض، دلالة المثنى باعتبارهما شيئين اثنين. على الرغم من كون اللفظة الأولى من حيث بناؤها تعد من قبيل الجمع.

وأما في قوله تعالى: ﴿**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا** ﴾ (الكهف ١٨/ ٣٣) فلم يتم التطابق بين عناصرها اللغوية وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾ (سورة الحج/ ٦٩) حيث لم يتم التطابق بين العنصر الاسمي والعنصر الفعلي فيها.

وقد وردت آيات قرآنية كريمة، لم يتحقق فيها التطابق بين الأفعال المسندة والأسماء والضمائر وغيرها المسندة إليها، ويبدو أن اللغة العربية القديمة حتى زمن نزول القرآن الكريم لم تكن تراعي المثنى من حيث تأثيره في بناء الجملة. ولعل ذلك يرجع كما يقول د. إبراهيم السامرائي إلي أن اللغة العربية كانت تعامل المثنى باعتباره داخل في حيز الجمع، وبذلك عومل معاملة الجمع .

وتتميز اللغة العربية عن سائر اللغات السامية بتخصيصها نهاية: الألف والنون لحالة الرفع الإعرابية، والياء والنون لحالة النصب والجر الإعرابية، وقد تحولت النون ميما في اللغات السامية، وعلى الرغم من ذلك فإن اطراد الألف والنون للرفع، والياء والنون للنصب والجر، لا يمثل القاعدة الثابتة. حيث وردت أمثلة وشواهد شعرية ونثرية التزم فيها المثنى علامة واحدة في الرفع والنصب والجر. ومن ذلك قول الشاعر: (هوبر الحارثي)[1]. (الطويل)

تزوّد منا بين أذناه ضربة دعته إلي هابي الترابِ عقيم

كما ذكر المفضل الضبي لبعض أهل اليمن قوله: [2](الكامل)

---

(١) لسان العرب ٦٤/١٠ - ١٦٣/١٩، ٢٢٩/٢٠

(٢) النوادر لأبي زيد ٥٨، والصاحبي ٢٠

أي قلوص راكب تراها طاروا علاهن فطر علاها

وقد نسب السيوطي هذه الظاهرة إلي بني الحارث بن كعب وبني العنبر، وبطون من ربيعة وبكر بن وائل، وزبيد وخثعم وهمدان ومزادة وعذرة[1].

ونظرا لتخفف اللهجات الحديثة من الالتزام بقواعد الإعراب في المثنى وبخاصة في حالة الرفع بالألف والنون، حيث نجدهم يلتزمون بنهاية الياء والنون في جميع حالات الإعراب، رفعا ونصبا وجرا، كما أنهم يميلون الألف نحو الياء، وتحولت من ثمة العلامة: "ay " المركبة من الفتحة والياء، إلي علامة ممالة طويلة هكذا: "ē "، وقد تقصر إلي مجرد: " e" بتأثير السياق اللغوي وانتقال مواضع النبر، ومثال ذلك قولهم: ولدين waladēn في حالة النصب والجر، وولدان waladāni في حالة الرفع.

٢- الجمع :

ويذكر برجشتراسر أن الجمع الصحيح (السالم) أن علامته في المؤنث "at" وهي سامية الأصل، وفي المذكر المرفوع: "u"، وفي المجرور والمنصوب: "i " كما هي في الأكادية العتيقة في مثل الكلمة: nisi، nisu بمعنى: الناس. ومعلوم أن الضمة الطويلة هي علامة الجمع المرفوع في الفعل أيضا، كفعلوا وافعلوا، ويتضح من ذلك أنها من العناصر الأصلية للغات السامية، ويلحق بهما في اللغة العربية النون المفتوحة، إذا كانتا غير مضافتين، كما أنها تلحق المضارع مرفوعا نحو: يفعلون.

كما يذكر برجشتراسر أن اللغة العربية قد يوجد بها علامة للجمع قديمة جدا وهي الهاء، وهي تنحصر في الكلمات الثنائية، ويصير الاسم بها ثلاثيا، ثم يجمع بالجمع الصحيح أو بالتكسير، ومثاله من الجمع الصحيح كلمة: أب، التي يكون جمعها بالهاء: أبهات: ‹abahāt وهي في الآرامية: ‹abāhāt. وقيس عليه: أم: أمهات، وإن لم تكن أمّ من الأسماء الثنائية، فجمعها بالهاء قديم أيضا. يشاكله في الآرامية: ‹emmhātā وسنة: سنهات، وعضة: عضهات، ومنه في العبرية: ‹amāhōt وهي في الآرامية: ‹amhātā بمعنى الإماه جمع على الهاء من "أَمَة" في العربية ومن

(١) انظر: همع الهوامع ٤٠/١

جمع التكسير بالهاء: شفة: شفاه، وشِبْهة في الآرامية: sephata، وماء: مياه، وشاء: شياه، واست: ستاه..[1] .

أما جموع التكسير في اللغات السامية، فيذكر برجشتراسر أن من حيث الشكل مما تنفرد به اللغة العربية ولا يشاركها فيه أو في كثير منه إلا اللغة الحبشية، وأن اللغة العربية تعد أكثر انفرادا عن غيرها في ذلك، وأن اللغات السامية الشمالية لا يوجد فيها هذا الجمع إلا في بعض الأصول فيها.

ويذكر بأن جمع التكسير في أصله عبارة عن أسماء الجملة (الجمع) أو أن هذه الأسماء تدل على جنس متركب من الأفراد، وهي كثيرة في اللغات السامية وغيرها. ومن أمثلتها: القوم، والحي أي: القبيلة والأهل، والركب، والقطيع من الغنم وغيره. والغنم نفسها والضأن والطير إلي غير ذلك، ومعناها بين معنى الجمع ومعنى المفرد، فهذه الألفاظ تشبه الجمع وكذا المفرد، فهي تدل على غير واحد من الأفراد كما أنها –أيضا– تدل على مفرد أو فرد لأنها بدورها يمكن جمعها، مثل: قوم: أقوام، ويذكر بأن مادة البناء الصرفي للمفرد في بعض هذه الكلمات قد تكون مخالفة لمادة البناء الصرفي للجملة (الجمع) ومثال ذلك: القوم للجمع، مفردها: رجل أو امرأة. أما إذا تساوى الاسمان، الدال على الجمع والدال على المفرد في مادتهما الصرفية، فيمكن إذن القول بأنه جمع حقيقي يدل على أفراده الكثيرة مثل: قرى، جمع: قرية، والدليل على أن قرى: اسم جمع في الأصل، وجودها في اللغة الآرامية، هكذا karyā: مع أن معنى: karyā في اللغة السريانية هو معنى الجمع، مفرده: krĪtā، المقابلة للقرية.ويقول بأنه لذلك فإن

---

(١) انظر: التطور النحوي ١١١–١١٢، وانظر: فقه اللغة المقارن ١١٠وما بعدها. وقد ذكر ذلك بروكلمان بقوله: "بناء الجمع بنهاية التأنيث: at، التي تمد فيها الحركة، فتصبح: "at" ويذكر لذلك أمثلة من العربية في مثل: سنه، وفي العبرية: sana، وفي الآرامية: satta والجمع: سنون فيهماsenin، sanim، كما يوجد من ناحية أخرى، عدد كبير من الأسماء المجردة من علامة التأنيث، لكنها تقبل تلك النهاية في الجمع، لاسيما في الحبشية، إذ أصبحت العلامة"at" فيها، هي نهاية الجمع السائدة للأشياء غير الحية والمعاني ويندر أن تدخل النهاية: "ot" في العبرية، على المفرد =المنتهي بتاء التأنيث، عندما يفقد معنى التأنيث في الذوق اللغوي مثل: Kesatot، بمعنى: أقواس، من المفرد: keset غيرأن هذه الحالة هي المعتادة في اللغة الحبشية ومثالها: amat› بمعنى: عام، وجمعه: amatat› وإعراب هذه النهاية: at هو نفس إعراب المفرد، ولكن العبرية غالبا ما يحمل فيها الضمير المتصل للجمع في المؤنث على المذكر، فإلي جانب: abotam› بمعنى: آباؤهم، ظهر متأخرا: abotehem› بعكس: آبائي، فإنها دائما: abotay›. انظر فقه اللغات السامية ٩٨ .

قرى وان كانت في أصلها اسم جملة(جمع) فقد صارت جمعا في المعنى، قبل افتراق اللغات السامية الجنوبية عن الشمالية، فقرى من أقدم أمثلة الجمع المكسر في اللغة العربية.[1]

وإذا كانت اللغة العربية تتميز بأنها تفرق في صياغتها بين أبنية المفرد وأبنية الجمع، فإن اللغة العبرية قد يوجد فيها أبنية للمفرد لكنهم لم يفرقوا بينها وبين أبنية الجمع، مثال ذلك في العبرية كلمة: sir بمعنى: غناء والأغنية الواحدة: sira، إلا أنه قد يوجد في هذا المعنى: sir أيضا، كما يوجد قليل من ذلك في الآرامية مثل: zabna بمعنى: الزمان وكذلك zbatta وأصلها zbanta أي: المرة.[2]

وفي بحثه المقارن عن الجمع في العربية، يؤكد الدكتور إبراهيم السامرائي أن جمع التكسير من الجموع التي اختصت بها اللغة العربية، وخلت منها اللغات السامية الأخرى، غير إن في الحبشية شيئا من صيغ هذه الجموع، على نحو ما ذكر كل من: "رينان" في كتابه: تاريخ اللغات السامية و "ديلمان" في كتابه: قواعد اللغة الأثيوبية.

وبعد عرضه لوجهات نظر العلماء العرب القدامى والعلماء المحدثين من المستشرقين الغربيين حول نشأة جمع التكسير وأن ثمة نهايات أو حشوا هي التي تولد صورة الجمع، أو أنها صيغ مفردة تضمنت دلالة الجمع أو أنها كلمة مجردة لجنس بعينه. ونجده يقرر بأن جموع التكسير قد سبقت جموع الصحة في اللغة العربية، اعتمادا على معطيات الدراسات المقارنة بين اللغة العربية وأخواتها من اللغات السامية. ويذكر بأن هذه الصيغ لجموع التكسير في العربية، تعين مرحلة بدائية في تاريخ اللغة بدلالاتها على الجنس، بدليل تأرجحها بين التذكير والتأنيث، وأن صيغ الجموع هذه لا تعتمد على مفردات مدونة ذات وزن معين لا تتعداه إلي غيره[3].

وقد أشار برجشتراسر إلي عدد كبير من صيغ جمع التكسير وأبنيته، وما يلحق به من حركات طويلة أو قصيرة أو همزة أو تشديد أو نحو ذلك. كما أشار أيضا إلي ما يطلق عليه: جموع الكثرة وجموع القلة. وذكر أن ذلك مما تختص به اللغة العربية، ومن خصائص اللغة العربية: حصر بعض صيغ جمع التكسير، وهي: فِعلة وأفعل

(١) انظر: التطور النحوي ١٠٦ – ١٠٧
(٢) انظر: التطور النحوي ١٠٨
(٣) انظر: فقه اللغة المقارن ٩٣وما بعدها

وأفعلة وأفعال، في القلة أي في عدد دون العشرة، وأما جمع الجمع نحو: بلد، بلاد، بلدان، أو كلب، أكلب، أكالب، أو أرض، أرضون، أراض، فيوجد مثله في الحبشية أيضا نحو: ›amlāk‹، يعني: الملك، وهو جمع على وزن: أفعال، من مفرد مفقود وجمعها: ›amālek‹ [1].

(١) التطور النحوي ١١١

obeikandl.com

الإعراب في اللغات السامية

يذكر بروكلمان أنه من الراجح أن اللغة السامية الأولى كانت تملك حالات إعرابية راقية، في حالات الكلمات المفردة في تراكيبها وجملها، على النحو الذي أسلفناه في الجمع في حالات الرفع والنصب والجر، التي لم تظهر إلا في اللغة العربية القديمة والحبشية والبابلية القديمة [١].

وهو يؤكد أن اللغة السامية الأولى كانت تفرق بين حالة الرفع، بوصفها حالة تحديد المسند إليه، وربما المسند أيضا بالنهاية: "u " وحالة الجر بوصفها حالة تحديد للاسم بالنهاية: "i "، وأخيرا حالة النصب بوصفها حالة تحديد للفعل بالنهاية: "a "، وإلي جانب ذلك، حالة الظرفية بالنهاية: "u "، تلك الحالة، التي ربما لا تكون مقصورة في اللغة السامية الأولى، على المفرد ولكنها انتقلت كذلك إلي الجمع والمثنى [٢].

وأما عن الأصل الأول لكل نهاية من هذه النهايات فالأمر غامض، لكن المعلوم أن الحركات الطويلة كانت هي الأصل ثم حدث لها فيما بعد أن تم تقصيرها، ويمكننا القول بأن نهاية النصب "hā" موجودة في اللغة الحبشية، وفي الأعلام في اللغة الأكادية، ومن المقبول القول بأن ثمة علاقة بين العلامة السابقة: "hā " للنصب، وبين الأداة الإشارية: "hā" أي أن أداة النصب أو علامته تكون ذات دلالة على التوجه نحو شيء ما في الحقيقة، وأن علامة الرفع: u ذات علاقة هي الأخرى بالضمير: "hū".

أما بالنسبة إلي نهاية الجر "i " فالافتراض ليس نهائيا حول صلتها بالنهاية: "iy" التي تكون صيغة النسب والتبعية. ثمة وسيلة أخرى كذلك للتعبير عن علاقة الإضافة بين اسمين، فالاسم الأول المضاف، يتصل بالثاني، المضاف إليه، اتصالا وثيقا عن طريق النبر، ولذلك يقع في حالة إضافة[٣].

---

(١) انظر: فقه اللغات السامية ١٠٠

(٢) انظر: فقه اللغات السامية١٠٠

(٣) انظر: فقه اللغات السامية١٠٠

ويتفق في ذلك برجشتراسر إذ يقول بأن الإعراب سامي الأصل، تشترك فيه اللغة الأكادية، وفي بعض الحبشية، كما نجد آثارا منه في غيرها أيضا. ويبين أن اللغة العربية قد ابتدعت شيئين؛ الأول: إعراب الخبر والمضاف، والعربية في ذلك تتفق مع أخواتها. أما الثاني: فعدم الانصراف في بعض الأسماء، وهي تنفرد بذلك عن غيرها.حيث نجد إعراب الخبر والمضاف شائعا في اللغة السامية الأم، فنجد خبر الجملة الاسمية فيها كان غير معرب، ومبنيا على الجزم، ودليلنا على ذلك هو ماضي الأفعال اللازمة، وهو من أقدم صيغ الفعل وأنه سامي الأصل، أصله القديم جملة اسمية، بخبر مقدم ومبتدأ مؤخر، يعني: karib، karibtunna، فهي مماثلة في ذلك لقريب، التي اشتقت منها بمد الكسرة، فنجدها مبنية على الجزم، ليس فيها إعراب ولا علامة للجمع ولا للتأنيث، وهذه أقدم هيئة للجملة الاسمية في اللغات السامية[1].

وقد حافظت اللغة العربية القديمة، بحالات الإعراب الرئيسية الثلاث سالمة، غير أن الحركات قد قصرت، ولا تحتفظ بطولها إلا في الوقف والقافية أحيانا، وقد بقيت طويلة دائما، في كلمات القرابة في حالة الإضافة: أب، أخ، حم، تلك الكلمات التي يعرض فيها سقوط لام الكلمة، بهذا الطول للحركة.

وثمة إعراب ناقص، غير ما أسلفناه من الإعراب الكامل في اللغة العربية، تشترك فيه حالة الجر مع حالة النصب، في النهاية: a، ويتمثل ذلك على الأخص في الأعلام، وفي بعض الأبنية التي تشبه الفعل شبها شديدا، ويرجح أن يكون ذلك قد انتقل إليها من الفعل المضارع، الذي لا يفرق فيه إلا بين حالتين فقط من حالات الإعراب.

ويفسر بروكلمان اشتراك حالتي النصب والجر في جمع المؤنث السالم في العربية إلي سبب صوتي خالص، حين تتحول نهاية النصب: " āta" إلي: "āti".[2]

ويذكر أن اللغة الحبشية قد بقيت فيها حالة الرفع في الأعداد، لا غير، مثل: aḥadū بمعنى: واحد، أما حالة النصب بالنهاية: "a "، فقد بقيت حية كلية، غير

(١) انظر: التطور النحوي ١١٦
(٢) انظر: فقه اللغات السامية ١٠٠-١٠١

أن دائرة استعمالها قد اتسعت، إذ تدخل في حالة الإضافة، للدلالة على حالة الرفع وذلك في مثل: epū abehēr بمعنى: سيد العالم = الله، وقد بقيت نهايتا الرفع والجر، ولكن بدون معناهما الأصلي، قبل الضمير المتصل، وذلك في صورة الحركة المجهولة: "e" وفي كلمات القرابة: أب، و أخ، وحم، بقيت الحركة طويلة " ū" لحالة الرفع، والحركة الطويلة: " ā " لحالة النصب في الضمائر المتصلة. كما هو الحال في اللغة العربية[1].

أما في اللغة العبرية فلم تبق فيها إلا حالة النصب: "a "، غير أنها لا تدل على حالة المفعول المباشر. وإنما تدل على الاتجاه المكاني نحو شيء ما، لا غير، ومثالها: ḥūṣā بمعنى: إلي الخارج، ومثل: bābēlā بمعنى: إلي بابل، وقد بقيت متجمدة في كلمة: lāylā، ومعناها في الأصل ليلا، ثم أصبحت تعني: ليل مطلقا، كما بقيت حالة النصب بدون معناها الأصلي، قبل الضمير المتصل للمفرد الغائب المذكر. أما حركة الجر: "ī" الطويلة فقد بقيت في كلمات القرابة الثلاث في حالة الإضافة، كما هو الحال في العربية والحبشية، كما بقيت نهاية الجر: "i-e" القصيرة قبل الضمير المتصل للمخاطبة المفردة في مثل: "eh"، ولا توجد حالة الرفع إلا في البقايا المتجمدة من الأعلام مثل: Mētūšēlaḥ وأما الآرامية فلم يبق منها من حالات الإعراب إلا حالة النصب، في آرامية العهد القديم في مثل: ellā› بمعنى: فوق، وثمة حالات إعراب متجمدة، قبل الضمائر المتصلة، حيث بقيت نهاية الرفع: ū الطويلة في كلمات القرابة، كما هو الشأن في العربية والحبشية والعبرية، ونهاية الجر: "i " في ضمير المخاطبة: "eh " وضمير الغائب: "eh "، وأما نهاية النصب "ā" الطويلة، فتوجد في ضمير المخاطب ": ah "، وضمير الغائبة: "āh " وكذلك في ضمير المتكلمين: "am " بفتحة قصيرة قياسا على الفعل[2].

أما في اللغة البابلية القديمة، فإن حالات الإعراب الثلاث ما تزال حية كلها في الاستعمال، بيد أنها اختلطت في الاستعمال اللغوي، وزالت الفروق فيما بينها شيئا

(١) انظر: فقه اللغات السامية ١٠١

(٢) انظر: فقه اللغات السامية ١٠١

فشيئا. وقد بقيت حالة الظرفية بالنهاية: "ū" الضمة الطويلة أكثر ما يكون شيوعا في الآشورية، ولم يحدث ذلك في المفرد فحسب، بل حدث في المثنى، ومثال ذلك: šēpuʿa بمعنى: على رجليّ، وفي العربية والحبشية تتمثل هذه الحالة في عدة ظروف، مثالها في العربية: تحتُ وقبلُ وبعدُ، وفي الحبشية: laʿlu بمعنى: فوق، tāḥtū بمعنى تحت ḳadīmū بمعنى قديما وبالتمييم في temalum و temālem بمعنى: أمس، وفي العبرية لا تزال هذه النهايات موجودة في مفرد مع التمييم هو: šilšum šilšōm، بمعنى: قبل أمس...[1].

(١) انظر: فقه اللغات السامية ١٠٢

obeikandl.com

الإعراب في اللغة العربية

يعد الإعراب من خصائص اللغة العربية، بل إنه من السمات الرئيسية التي حافظت فيه اللغة العربية على واحدة من سمات اللغة السامية الأم، على النحو الذي أسلفناه، وما يزال الإعراب فاعلا ومؤثرا في تميز الأسلوب اللغوي العربي، بتراكيبه وجمله وعباراته. وما تزال مسألة الإعراب واحدة من القضايا الكبرى، التي اهتم بها العلماء العرب من اللغويين والنحاة وغيرهم ممن يهتمون بالعلوم العربية بعامة والعلوم الإسلامية بخاصة، على مدار فترات العربية وعصورها إلي يومنا هذا في هذا العصر الحديث.

لقد اختلف العلماء العرب القدامى والمحدثون حول قيمة الإعراب في توجيه الأسلوب وتنويعه. وعما إذا كانت حركات الإعراب بأنواعها، تدل على المعاني المختلفة أم لا؟ ونحن نجد في تراثنا العربي القديم آراء وأخبارا حول هذا الخلاف، حيث نجد في مؤلفاتهم هذا الخلاف بين تلامذة سيبويه والكسائي، حيث ذهب جمهور النحاة إلي القول بدلالة الحركات على المعاني في حين ذهب بعضهم إلي غير ذلك.[1]

وقد صرح الزجاجي في كتابه: الجمل بأن "أصل الإعراب للأسماء، وأصل البناء للأفعال والحروف، لأن الإعراب إنما يدخل في الكلام، ليفرق بين الفاعل والمفعول، والمالك والمملوك، والمضاف والمضاف إليه وسائر ذلك مما يعتور الأسماء من المعاني، وليس شيء من ذلك في الأفعال، ولا الحروف "[2].

كما نجد ابن فارس يقول: "فأما الإعراب ففيه تميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين .

وذلك أن قائلا لو قال: ما أحسن زيدا، غير معرب، أو: ضرب عمرو زيد، غير معرب، لم يوقف على مراده، فإذا قال: ما أحسنَ زيدا، أو: ما أحسنَ زيدٌ، أو ما

(١) انظر: مدرسة الكوفة ٢٨٣
(٢) الجمل للزجاجي ٢٦٠

أحسنُ زيدٍ! أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده. وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها، فهم يفرقون بالحركات وغيرها ما بين المعاني[1].

وعلى الجانب الآخر، نجد عالما نحويا آخر، وهو: قطرب (محمد بن المستنير) يرفض إفادة الحركات الإعرابية لدلالات ومعايير مختلفة، حيث يقول: وإنما أعربت العرب كلامها، لأن الاسم في حالة الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا، لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك، جعلوا التحريك معاقبا للإسكان، ليعتدل الكلام، ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن، ومتحركين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين، لأنهم في اجتماع الساكنين يبطئون، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون، وتذهب المهلة في كلامهم، فجعلوا الحركة عقب الإسكان[2].

والحق، فإن رأي قطرب في عدم دلالة الحركات على المعاني المختلفة، رفضه العلماء العرب القدامى، حيث رد عليه الزجاجي بقوله: "لو كان كما زعم. لجاز خفض الفاعل مرة، ورفعه أخرى، ونصبه، وجاز نصب المضاف إليه، لأن القصد في هذا، إنما هو الحركة تعاقب سكونا يعتدل به الكلام، وأي حركة أتى بها المتكلم أجزأته، فهو مخير في ذلك، وفي هذا فساد للكلام، وخروج على أوضاع العرب، وحكمة نظام كلامهم"[3] .

أما العلماء المحدثون الذين رفضوا دلالة حركات الإعراب على المعاني المختلفة، كما هو الحال عند قطرب من العلماء القدماء، فإننا نجد الدكتور إبراهيم أنيس يتبنى نظرية مفادها، أن ظاهرة الإعراب في اللغة العربية بحركاته الإعرابية، ليست رموزا لغوية، تشير إلي الفاعلية أو المفعولية أو غير ذلك[4] .

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة ٣٠٩، ولعل تعصب ابن فارس للغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم، جعله ينسب لها كل المميزات والخصائص دون غيرها من اللغات، وقد أوردنا وجود الإعراب في اللغات السامية الأخرى، وغيرها من اللغات الهندوأوربية. انظر تفصيلات حول هذا التعصب: القضايا اللغوية في كتاب الصاحبي لابن فارس ضمن كتابنا: التراث اللغوي العربي في ضوء علم اللغة الحديث ٦٢-٦٤

(٢) الإيضاح في علل النحو، للزجاجي٧٠، وعنه الأشباه و النظائر للسيوطي ٩٧/١، وكذا: مسائل خلافية، للعكبري ٩٥

(٣) الإيضاح في علل النحو ٧١ والأشباه والنظائر ٧٩/١

(٤) من أسرار اللغة ٢٠٦ -٢٠٧

ويتفق معه في وجهة نظره الدكتور داود عبده، حيث يرى أن الحركات في أواخر كلمات العربية، لم تكن تدل على فاعلية أو مفعولية أو نحوهما وهو يظن أنها كانت في الأصل جزءا من الكلمة، وأنها كانت حركة واحدة في جميع الحالات، التي تقع فيها الكلمة، غير أنها اختلفت بعد ذلك، باختلاف اللهجات، إلي غير ذلك من الظنون، التي لا دليل عليها[1] .

ويمكننا أن نلخص وجهة نظر الدكتور/ إبراهيم أنيس على النحو الآتي: [2]

١- ليس للحركة الإعرابية مدلول فلا تدل الحركات الإعرابية على فاعلية أو مفعولية أو إضافة أو غير ذلك.

٢- هذه الحركات لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير الغالب، لوصل الكلمات بعضها ببعض بمعنى أنها حركات للتخلص من التقاء الساكنين، عند وصل الكلام، وأن معنى الفاعلية والمفعولية لا يستفاد من هذه الحركات، وإنما من موقع كل من الفاعل والمفعول في الجملة العربية.

٣- ثمة عاملان لهما تأثير في تحديد حركة التخلص من التقاء الساكنين وهما:

- إيثار بعض الحروف لحركة معينة. كإيثار حروف الحلق للفتحة مثلا.
- الميل إلي تجانس الحركات المتجاورة.

٤- أخطأ النحاة العرب تفسيرهم للحركات، وأنها لا تعدو أن تكون حركات وصل بين الكلمات.

٥- ومن ثمة فإنهم باعتقادهم أنها حركات إعرابية، حركوا أواخر الكلمات التي لا داعي إلي تحريكها، لتكون قواعدهم مطردة. ففي قولهم مثلاً: الرجلُ

---

(١) أبحاث في اللغة العربية ١٢٦

(٢) انظر: فصول في فقه العربية ٣٧٤ – ٣٧٦، ويعلق على هذه النقاط الدكتور/رمضان عبد التواب بأن الدكتور/أنيس قارن بين العربية والعبرية، وأن الإعراب في العربية هو من قبيل تأثر النحاة باللغات الهندوأوربية وبخاصة في اللغات اليونانية واللاتينية، والتي كانت النهايات الإعرابية من أهم خصائصها، التي فقدت في اللغات الحديثة كالإنجليزية والفرنسية وغيرها. ولم يتعرض د/ أنيس إلي بقية اللغات السامية المعربة التي أسلفناها من قبل من: الحبشية والأكادية والأوجراتية. وأنه لو اطلع على هذه اللغات لوجد فيها الإعراب بعلاماته، كما هو الحال في اللغة العربية. انظر: فصول في فقه العربية ٣٧٦

قائم، بضم اللام من: الرجل، وكان يكفي أن يقال: الرجلْ قائم بتسكين اللام، إذ لا ضرورة تدعو إلي تحريكها بالضمة، وموقعها في الابتداء هو الدال على أنها مبتدأ.

٦- الشعر العربي وكذا النثر العربي، ليسا في حاجة إلي التحريك ليستقيم الوزن من الناحية الذوقية.

٧- أما المعرب بالحروف (الحركات الطويلة) فكانت إحدى صوره تخص قبيلة معينة، والصورة الأخرى تخص قبائل أخرى، لكن النحاة العرب جمعوا الصور جميعا، وخصوا كل صورة منها بحالة إعرابية معينة.كأن نفترض أن إحدى القبائل كانت تلتزم الياء في المثنى في جميع الأحوال الإعرابية. ثم تطورت الياء في حالات الرفع عندهم ألفا، ولكن خصوا حالة الياء للنصب والجر، وخصوا حالة الألف للرفع.

ولم يكن الدكتور إبراهيم أنيس وحده هو الذي رفض دلالة حركات الإعراب على المعاني المختلفة ولكننا نجد من المستشرقين من قال بذلك، حيث يصرح "فوللرز" K.vollers :

بأن النص الأصلي للقرآن الكريم قد كتب بإحدى اللهجات الشعبية التي كانت سائدة في الحجاز، والتي لا يوجد فيها كما لا يوجد في غيرها تلك النهايات المسماة بالإعراب، وأنه انتقل إلي هذا النص فيما بعد الشكل الأدبي للغة العربية، الذي هو عليه الآن.

ويرى فوللرز أن اللغة العربية الفصحى، التي رواها النحاة، و التي توجد في القرآن الكريم، والتي احتفظ بها الشعر في موازينه، إنما هي لغة مصنوعة، وينكر أنها لغة حية، كانت شائعة في مكة المكرمة في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – كما يشكك في أن البدو الذين أنشأوا الشعر وقرضوه، كانوا يتكلمون هذه اللغة العربية الفصحى.[1]

كما أننا نجد المستشرق: باول كاله وهو يعلق على نصّ ذكره الفراء أورده الزجاجي في الإيضاح، ورد فيه: "وقال أبو بكر الصديق رحمه الله: إن إعراب القرآن لأحب إلي من

(١) See: K. vollers: volkssprache und Schriftsprache in alten Arabien ،١٩٠٦ .

حفظ بعض حروفه، وقال ابن مسعود: جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات، وأعربوه فإنه عربي، والله يحب أن يعرب "[1].

ويعلق د. رمضان عبد التواب على استنتاج بأول كلامه بأن إلحاح الخليفة أبو بكر وعمر على طلب قراءة القرآن الكريم بالإعراب لا يبدو معقولا إلا إذا كان يقرأ في الواقع بدون إعراب وأريد له أن يقرأ بالإعراب، الذي عد في وقت متأخر من مظاهر الصحة اللغوية. حيث يصرح بقوله "وهو مخطئ في استنتاجه ذلك، لأن الإعراب بمعناه الاصطلاحي، لم يكن معروفا في أيام أبي بكر وعمر وابن مسعود، ومعنى كلمة إعراب القرآن في هذه الأحاديث إن لم تكن مزيفة – هو الوضوح والبيان في قراءة القرآن الكريم."[2]

لكن الكثير من المستشرقين قد دافعوا عن أصالة الإعراب في اللغة العربية، بل إنها واحدة من أخواتها الساميات القلائل، التي حافظت على الإعراب وحركاته، على النحو الذي أسلفناه عند كل من: برجشتراسر و بروكلمان، وكذلك الحال عند نولدكه Th، Noldeke الذي ذكر في مقال له بعنوان: "ملاحظات على لغات العرب القدامى"أنه من غير المعقول أن يكون محمد –صلى الله عليه وسلم – قد استخدم في القرآن الكريم، لغة تخالف كل المخالفة، تلك اللغة التي كانت شائعة في مكة آنذاك، وأن يكون قد اعتنى بالإعراب هذه العناية، وقومه لا يستخدمون هذا الإعراب في كلامهم "[3].

كما يقول المستشرق "يوهان فك" J. Fuck بأنه قد احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرف الإعرابي، بسمة من أقدم السمات اللغوية، التي فقدتها جميع اللغات السامية باستثناء البابلية القديمة، قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي، وقد احتدم النزاع حول غاية بقاء هذا التصرف الإعرابي، في لغة التخاطب الحي، فأشعار عرب البادية – قبل الإسلام وفي عصوره الأولى– ترينا علامات الإعراب مطردة كاملة السلطان، كما

---

(١) انظر: الذخائر القاهرية Die Kairoer Genisa في فصل بعنوان: نص القرآن العربي. وقد أورد الزجاج في الإيضاح قول أبي بكر هكذا: قال أبو بكر وعمر: تعلم إعراب القرآن أحب إلينا من تعلم حروفه ٩٦

(٢) انظر: فصول في فقه العربية ٣٨٠

(٣) Einige Bemerkungen uber die Sprache der alten Araber، Z، A xii، ١٧٢

أن الحقيقة الثابتة، من أن النحويين العرب كانوا حتى القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي على الأقل يختلفون إلي عرب البادية، ليدرسوا لغتهم، تدل على أن التصرف الإعرابي، كان في أوج ازدهاره آنذاك، بل لا تزال حتى اليوم نجد في بعض البقايا الجامدة من لهجات العرب البداة ظواهر الإعراب [1].

وبعد فإن وجهة نظر العلماء الذين يقولون بأن الإعراب في اللغة العربية، إنما جاء فحسب للتخلص من التقاء الساكنين عند وصل الكلام، وأن دلالات الفاعلية والمفعولية ونحوها لا يستفاد من هذه الحركات، وإنما من موقع كل منها في الجملة العربية. هذه الوجهة من النظر لا تجد من يؤيدها من العلماء العرب القدامى والمحدثين، والمستشرقين، بل إننا نجد العلماء قديما وحديثا يقولون بأن الإعراب في اللغة العربية، يُعَدّ ظاهرة من أ خص ظواهرها في جملها وتراكيبها، وأن اللغة العربية كانت معربة منذ أقدم العصور، والنصوص شاهدة على ذلك، وقد كان الإعراب سهلاً على ألسنة الناس، ثم تخففوا منه بعد فساد الضمائر والطبائع وانتشار اللحن بدخول كثير من الأمم الأعجمية في الدين الإسلامي، وتأثر ألسنة الأعراب بهذه اللغات.

بل إننا نجد من العلماء من يعارض وجهة نظر الدكتور/ إبراهيم أنيس ويفندها ويؤكد بالدراسة التاريخية والمقارنة قيمة الإعراب وأهميته في تحديد الدلالات المختلفة. حيث عقد الدكتور/ إبراهيم السامرائي مبحثا قيما بعنوان: الإعراب في اللغة ودلالته – بحث مقارن في اللغات السامية.[2]

ويقدم الدكتور رمضان عبد التواب رده على وجهة نظر أستاذه الدكتور إبراهيم أنيس مدعماً هذا الرد بالأدلة الآتية: [3]

١- وجود الإعراب كاملاً في بعض اللغات السامية القديمة، كالأكادية، وتشمل اللغتين: البابلية والآشورية، في عصورهما القديمة. ويقدم مثالاً لذلك بنص قانون حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ق.م) المدون باللغة البابلية القديمة، حيث يوجد فيه الإعراب، تماماً كما هو الحال في اللغة العربية الفصحى، فالفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، وعلامة الرفع: الضمة، وعلامة النصب: الفتحة، وعلامة الجر الكسرة.

---

(١) العربية: يوهان فك ١٥

(٢) فقه اللغة المقارن ١١٧ وما بعدها.

(٣) انظر: فصول في فقه العربية ٣٨٢ وما بعدها.

ويمثل لذلك بما ورد في الفقرة الأولى من هذا القانون، في الجملة الآتية:

šummā awēlum awēlam ubbirma

وهي تعني: " إذا اتهم إنسان إنساناً " حيث نجد في هذه الجملة كلمة: awelum، الأولى بمعنى: إنسان في حالة الرفع بالضمة، دلالة على الفاعل، وأما الميم الأخيرة، فهي للدلالة على التنوين في العربية، حيث إن الأكادية تجعل التمييم بالميم في نهاية الكلمات، واللغة العربية تجعلها نوناً ساكنة، تسمى بالتنوين. وأما كلمة: awelam، الثانية، بمعنى: إنساناً، في حالة النصب بالفتحة، للدلالة على المفعولية، وبعدها الميم للتمييم.

وكذلك ما ورد بالفقرة الخامسة من قانون حمورابي:

šummā dayānum dinam iddin

وتعني: إذا حكم قاضٍ حكمًا، فإن كلمة dayanum: ، بمعنى: قاضٍ، وفي حالة الفاعلية، وهي مرفوعة بالضمة. وكلمة: dinam، وتعني: حكم، في حالة المفعولية، وهي منصوبة بالفتحة.

وكذلك ما ورد في الفقرة ١٩٥ من قانون حمورابي أيضا:

šummā moru abāšū imtahas

ومعناها: إذا ضرب ابن أباه، فإننا نجد كلمة: abāšū، بمعنى: أباه وهي منصوبة بالألف في حالة المفعولية، لأنها من الأسماء الخمسة، كما هو الحال في اللغة العربية.

ولا يكتفي فقط بهذه الأمثلة لوجود الحركات الإعرابية في اللغة الأكادية سواء تلك الحركات القصيرة أو الطويلة، وكذلك حالة التنوين، ولكنه يقدم أمثلة لكل من المثنى والجمع المذكر وأنهما في اللغة الأكادية يماثلان في الإعراب: المثنى والجمع في العربية، فيرفع فيها المثنى بالألف وينصب ويجر بالياء، التي تحولت إلي كسرة طويلة ممالة، بعد انكماش الصوت المركب، كما حدث في اللهجات العربية الحديثة، فيقال في الأكادية: īnān› بمعنى: عينان، في حالة الرفع، ويقال: īnēn›، في حالتي النصب والجر. أما جمع المذكر، فإنه يرفع بالواو، وينصب ويجر بالياء. ففي مثل: sarru، بمعنى: ملوك في حالة الرفع، ويقال: šarrī في حالتي النصب والجر[1].

(١) انظر: فصول في فقه العربية ٣٨٣ – ٣٨٤

وكما أسلفنا فإن اللغة الحبشية أيضا من اللغات السامية التي حافظت على ظاهرة الإعراب، كما هو الحال في اللغة العربية، ففي الحبشية يقال مثلاً:

wa akamka lōtu kīdana بمعنى: وأقمت له عهداً،

وكذلك: re iku hati ata بمعنى: رأيتُ خطيئةً

وكذلك: fatarka lā lēhū mōta بمعنى: كتبت عليه الموت[1].

٢- ويؤكد لنا وجود الإعراب في اللغة العربية ما وصلنا متواترا بالرواية الشفوية الموثوق بها جيلا بعد جيل ألا وهو كتاب الله: القرآن الكريم، الذي وصل إلينا معرباً بالحركات الإعرابية القصيرة والطويلة، ولا يتجرأ أحد بالقول بأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان لا يحرك أواخر الكلمات في تلاوته لنص القرآن الكريم، إلا بما تقتضيه قواعد الوقف والوصل أو بعبارة أخرى عند التخلص من التقاء الساكنين عند وصل الكلام[2].

٣- كما يؤكد لنا الرسم القرآني الذي ورد إلينا متواتراً، وجود الإعراب في العربية الفصحى، وأنه لم يكن من اختراع النحاة، فقد ورد إلينا في الخط العثماني وجود الألف في حالة المنصوب المنون في قوله تعالي: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً**﴾ (إبراهيم/٤٢) في مقابل قوله تعالي: " وما الله بغافل " حيث رسمت كلمة غافل الأولى المنصوبة بعلامة النصب ألا وهي الألف المنونة دلالة على الفتح. في حين تركت اللام في: غافل الثانية بدون علامة، حيث لم تكن العلامات الإعرابية قد وضعت لها رموز، وإنما كانت موجودة في النطق وفي القراءة والتلاوة. وما وجود الألف في الرسم العثماني في هذا الزمان إلا دليل على وجود الإعراب، للتمييز بين كون الكلمة في حالة فاعلية أو مفعولية أو إضافة أو نحو ذلك. ومن أمثلتها في الرسم العثماني قوله تعالى: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ (ص٣٨/ ٤٤) بالألف للدلالة على النصب والمفعولية، وقوله تعالى: ﴿**أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**﴾ (القيامة٧٥/٤٠) بدون الألف لكونها في موضع جر بحرف الجر الزائد.

---

(١) انظر: نصوص من اللغات السامية ١٢٠ وما بعدها.

(٢) انظر: فصول في فقه العربية ٣٨٦

وهذا ما نبه إليه الدكتور علي عبد الواحد وافي بقوله "وإن في رسم المصحف العثماني نفسه، مع تجرده من الإعجام والشكل لدليلاً على فساد هذا المذهب – وذلك أن المصحف العثماني، يرمز إلي كثير من علامات الإعراب بالحروف: (المؤمنون، المؤمنين.....)، وعلامة إعراب المنصوب المنون: (رسولاً، شهيداً، بصيراً) وهلم جرّا، ولاشك أن المصحف العثماني، قد دون في عصر سابق بأمد غير قصير، لعهد علماء البصرة والكوفة، الذين تنسب إليهم هذه المذاهب الفاسدة، اختراع قواعد الإعراب "[1].

٤- تقتضي موازين الشعر وبحوره ضرورة وجود الإعراب بحركاته المختلفة، وأن تسكين كلمات الشعر في أبياته، يؤدي إلي فقدان الشعر لأهم سمة من سماته ألا وهي الوزن العروضي والإيقاع الموسيقي. وما يقترن بهما من تأثير على النفوس.[2] ولعل بيتاً شعرياً لبشر بن أبي خازم لدليل على ذلك: [3]

فكأنّ ظُعْنَهُمُ غَدَاةَ تحمّلوا سُفُن تَكَفَّأُ في خليجٍ مُغْرِبِ

٥- ثمة أخبار كثيرة وردت إلينا، تدلنا على إدراك العلماء العرب الأوائل، لقيمة الحركات الإعرابية ومدلولها، ووصفهم من حاد عنها أو أخطأ فيها، بأنهم قد فسدت ألسنتهم بمخالطتهم للأعاجم. ومن هذه الأخبار: ما كتبه كاتب لأبي موسى الأشعري إلي عمر ابن الخطاب: "مِنْ أبو موسى" فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " سلام الله عليك، فاضرب كاتبك سوطًا واحدًا، وأَخّر عطاءه سنة"[4].

ويروى عن أبي الأسود الدؤلي، أنه سمع رجلاً يقرأ: "أن الله برئ من المشركين ورسوله " بكسر اللام، فقال: "لا أظن يسعني إلا أن أضع شيئا أصلح به نحو هذا[5].

وأمثلة أخرى كثيرة أوردها العلماء في مؤلفاتهم، تؤكد قيمة الإعراب وأهميته، وضرورة الالتزام بقواعده وقوانينه حماية للغة العربية وحفظا لنصوصها التراثية المنقولة إلينا عبر فترات تاريخية قديمة.

---

(١) فقه اللغة ٢٠٩

(٢) انظر: فصول في فقه العربية ٣٨٧

(٣) ديوان بشر بن أبي خازم ٤/٧ ص٣٥

(٤) مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي ٦

(٥) مراتب النحويين ٨ وأخبار النحويين البصريين للسيرافي ١٢

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

١) **أبحاث في اللغة العربية**، للدكتور داود عبده. بيروت. ١٩٧٣م

٢) **الإبدال لأبي الطيب اللغوي**، تحقيق عز الدين التنوخي. دمشق. ١٩٦٠م

٣) **الإتقان في علوم القرآن**، لجلال الدين السيوطى. القاهرة. ١٣٦٨هـ

٤) **الإحكام في أصول الأحكام**، لابن حزم (مطبعة الإمام). القاهرة. بدون

٥) **أخبار النحويين البصريين، للسيرافى**، نشر كرنكو. بيروت. ١٩٣٥م

٦) **أساس البلاغة، للزمخشرى**، طبعة دار الكتب المصرية. القاهرة. ١٩٢٢م

٧) **أسس علم اللغة، لماريوباى**، ترجمة د. أحمد مختار عمر. طرابلس. ١٩٧٣م

٨) **الاشباه والنظائرفي النحو، للسيوطى**، حيدر آباد الدكن. الهند. ١٣٥٩هـ

٩) **الاشتقاق، لابن السراج**، تحقيق محمد صالح التكريتى. بغداد. ١٩٧٣م

١٠) **الأصول، دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب**، للدكتور تمام حسان. المغرب. ١٩٨١م

١١) **الأضداد في كلام العرب، لأبي الطيب اللغوي**، تحقيق د.عزة حسن. دمشق. ١٩٦٣م

١٢) **إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا**، للدكتور تمام حسان، ندوة اللسانيات واللغة العربية. تونس. ١٩٦٧م

١٣) **الألسنية التحويلية وقواعد اللغة العربية**، للدكتور ميشال زكريا. بيروت. ١٩٨٢م

١٤) **أمالي السهيلى في النحو واللغة والحديث والفقه، للإمام السهيلى**، تحقيق محمد إبراهيم البنا. القاهرة. ١٩٧٠م

١٥) **أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث**، للدكتور حسام البهنساوي. القاهرة. ١٩٩٤م

١٦) **الإيضاح في علل النحو، للزجاجي**، تحقيق مازن المبارك. القاهرة. ١٩٥٩م

obeikandi.com

١٧) **البحث اللغوي عند العرب** للدكتور أحمد مختار عمر. القاهرة ١٩٧١م

١٨) **البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي**، مطبعة السعادة. القاهرة. ١٣٢٨هـ

١٩) **بحوث السنية عربية**، للدكتور تمام حسان. القاهرة. ١٩٩٢م

٢٠) **البيان في روائع القرآن**، للدكتور تمام حسان. القاهرة. ١٩٩٣م

٢١) **تاريخ بغداد أو مدينة السلام، للخطيب البغدادى**. القاهرة. ١٩٣١م

٢٢) **تاريخ الطبرى. تاريخ الرسل والملوك، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة. ١٩٦٠-١٩٦٩

٢٣) **التحفة البهية والطرفة الشهية، للسيوطى** (ضمن كتاب: علم الخط). بدون

٢٤) **التراث اللغوي العربي في ضوء علم اللغة الحديث**، للدكتور حسام البهنساوي. القاهرة. ٢٠٠٤م

٢٥) **التركيب ومدى عناية اللغويين العرب بدراسته**، للدكتور محمود شرف الدين. ١٩٧٦م

٢٦) **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك**، تحقيق عبد الله الجبورى. بغداد. ١٩٠٧م

٢٧) **تصحيح الفصيح، لابن درستويه**، تحقيق عبد الله الجبورى. بغداد. ١٩٧٥م

٢٨) **التطور اللغوى، مظاهره وعلله وقوانينه**، للدكتور رمضان عبد التواب. القاهرة. ١٩٨٣م

٢٩) **التطور النحوي للغة العربية، لبرجشتراسر**، أخرجه وصححه وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب. القاهرة. ١٩٨٢م

٣٠) **التعريف والإعلام، للسهيلى**. القاهرة. ١٩٣٨م

٣١) **تعليم النحو بين النظرية والتطبيق**، للدكتور تمام حسان، مجلة المنهل، العدد ٧. المغرب. ١٩٦٧م

٣٢) **تقويم اللسان، لابن الجوزى**، تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر. القاهرة. ١٩٦٨م

٣٣) **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي**، تحقيق الدكتور محمود الطحان. الرياض. ١٩٨٣م

openkandil.com

٣٤) **الجمل، للزجاجى**، نشر ابن أبي شنب. باريس. ١٩٥٧م
٣٥) **جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي**، تحقيق كرنكو، حيدر أباد الدكن. الهند. ١٣٤٤-١٣٥١هـ
٣٦) **الجيم، لأبي عمرو الشيبانى**، تحقيق إبراهيم الإبياري وآخرين، القاهرة. ١٩٧٤-١٩٧٥
٣٧) **خزانة الأدب، لعبد القادر البغدادى**. بولاق، القاهرة. ١٢٩٩هـ
٣٨) **الخصائص، لابن جني**، تحقيق محمد على النجار، القاهرة. ١٩٥٢م-١٩٥٦م
٣٩) **دراسات في فقه اللغة**، للدكتور صبحى الصالح. بيروت. ١٩٧٠م
٤٠) **دور الكلمة في اللغة، لأولمان** – ترجمة الدكتور كمال بشر. القاهرة. ١٩٦٢م
٤١) **ديوان الأخطل**، نشر أنطون صالحانى. بيروت. ١٨٩١م
٤٢) **ديوان امرئ القيس**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة ١٩٥٨م
٤٣) **ديوان بشر بن أبي حازم**، تحقيق الدكتور عزة حسن. دمشق. ١٩٦٠م
٤٤) **ديوان الطرماح**، تحقيق الدكتور عزة حسن. دمشق. ١٩٦٨م
٤٥) **ديوان المتلمس**، نشر كارل فوللرز. ليبزج. ١٩٠٣م
٤٦) **الزينة في الكلمات الاسلامية، لأبي حاتم الرازي**، تحقيق حسين الهمداني. القاهرة. ١٩٥٧-١٩٥٨
٤٧) **سر صناعة الإعراب، لابن جنى**، تحقيق مصطفى الساقى وآخرين. القاهرة. ١٩٥٤م
٤٨) **شرح التسهيل، لابن مالك** – تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد وآخر. القاهرة. ١٩٧٤م
٤٩) **شرح درة الغواص في أوهام الخواص، للشهاب الخفاجى**. استانبول. ١٢٩٩هـ
٥٠) **شرح الشافية للإستراباذي** تحقيق محمد الزفزاف وآخرين القاهرة. ١٣٥٦هـ
٥١) **شرح المفصل، لابن يعيش**، المطبعة المتيرية، القاهرة. بدون
٥٢) **الصاحبى في فقه اللغة، لابن فارس**، تحقيق مصطفى الشويمى. بيروت. ١٩٦٣م
٥٣) **الصاهل والشاحج، لأبي العلاء المعري**، تحقيق الدكتورة بنت الشاطيء. القاهرة. ١٩٧٥م

obeikandi.com

٥٤) **الصحاح – تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر الجوهري،** تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. القاهرة. ١٩٥٦م

٥٥) **العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب،** ليوهان فك، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب. القاهرة. ١٩٨٠م

٥٦) **العربية الفصحى، لهنري فليش،** ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين. بيروت ١٩٦٦م

٥٧) **العربية وعلم اللغة البنيوي،** للدكتور حلمي خليل، الأسكندرية

٥٨) **علم الأصوات،** للدكتور حسام البهنساوي. القاهرة. ٢٠٠٤م

٥٩) **علم اللسان، لأنطوان ماييه،** ترجمة محمد منـدور (ضـمن كتاب النقد المنهجي عند العرب). القاهرة. ١٩٦٩م

٦٠) **علم اللغة، نشأته وتطوره،** للدكتور محمـود جـاد الـرب. القاهرة. ١٩٨٥م

٦١) **العين، للخليل أحمد الفراهيدي،** تحقيـق الـدكتور عبـد الله درويش. بغداد. ١٩٦٧م

٦٢) **الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام،** تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، القاهرة.

٦٣) **فصول في فقه العربية،** للدكتور رمضان عبد التـواب، ط٢. القاهرة. ١٩٨٣م

٦٤) **فقه اللغات السامية، لبروكلمان،** ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب. الرياض. ١٩٧٧م

٦٥) **فقه اللغة المقارن،** للدكتور إبراهيم السامرائي، ط ٣. بيروت. ١٩٨٣م

٦٦) **الفونيمات التطريزية في اللغـة العربيـة،** للـدكتور حـسام البهنساوي. القاهرة. ٢٠٠٣ م

٦٧) **القلب والإبدال، لابن السكيت** (ضمن الكنز اللغوي في اللـسن العربي)، نشر هفنر. بيروت ١٩٠٣م

٦٨) **قواعد تحويلية للغة العربية،** للدكتور محمد علـى الخـولي. الرياض. ١٩٨١م

٦٩) **الكتاب، لسيبويه. بولاق،** القاهرة. ١٣١٦-١٣١٧هـ

obeikandl.com

٧٠) **لحن العامة والتطور اللغوي**، للدكتور رمضان عبد التواب. القاهرة. ١٩٦٧م

٧١) **لحن العوام، للزبيدى**، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب. القاهرة. ١٩٦٤م

٧٢) **لسان العرب، لابن منظور الأفريقي**. بولاق، القاهرة. ١٣٠٠–١٣٠٧هـ

٧٣) **لغات البشر لماريو باى** ترجمة الدكتور صلاح العربي القاهرة ١٩٧٠م

٧٤) **اللغات السامية، لنولدكه**، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب. القاهرة. ١٩٦٣م

٧٥) **اللغة، لفندريس**، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص. القاهرة. ١٩٥٠م

٧٦) **اللغة العربية معناها ومبناها**، للدكتور تمام حسان. القاهرة. ١٩٧٣م

٧٧) **اللهجات العربية الغربية القديمة، لرابين**، ترجمة الدكتور عبد الرحمن أيوب. الكويت. ١٩٨٦م

٧٨) **ما تلحن فيه العامة، للكسائي**، نشر عبد العزيز الميمني (في ثلاث رسائل). القاهرة. ١٣٤٤هـ

٧٩) **مجلة كلية الآداب**، جامعة القاهرة، المجلد العاشر. القاهرة. ١٩٤٨م

٨٠) **مجلة المشرق** ١٩٠٣م

٨١) **المخصص في اللغة، لابن سيده الأندلسي**. بولاق، القاهرة. ١٣١٦–١٣٢١هـ

٨٢) المدخل **إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، لابن هشام اللخمي**، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، مخطوط. بدون تاريخ

٨٣) **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث**، للدكتور رمضان عبد التواب. القاهرة. ١٩٨٥م

٨٤) **مدرسة الكوفة ومناهجها في دراسة اللغة والنحو**، للدكتور مهدي المخزومي. القاهرة. ١٩٥٨م

٨٥) **مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة. ١٩٥٥م

٨٦) **المزهر في علوم اللغة، لجلال الدين السيوطي**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين. القاهرة. ١٩٥٨م

obeikandl.com

٨٧) **مسائل خلافية، لأبي البقاء العكبري**، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٢٨، سن نحو. القاهرة. بدون
٨٨) **معاني القرآن، للفراء**، تحقيق محمد على النجار. القاهرة. ١٩٥٥-١٩٧٢
٨٩) **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، للجواليقي**، نشر أحمد شاكر. القاهرة. ١٣٦١هـ
٩٠) **مفاتيح العلوم، للخوارزمى**. القاهرة. ١٣٤٢هـ
٩١) **مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس اللغوي**، تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة. ١٣٦٦-١٣٧١هـ
٩٢) **المقتضب، لأبي العباس المبرد**، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. القاهرة. ١٩٦٣- ١٩٦٨
٩٣) **مقدمتان في علوم القرآن، مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية**، نشر آرثر جفرى. القاهرة. ١٩٥٤م
٩٤) **الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون**، للدكتور ميشال زكريا. بيروت. ١٩٩٢م
٩٥) **من أسرار اللغة**، للدكتور إبراهيم أنيس. القاهرة. ١٩٦٦م
٩٦) **المنصف، لابن جنى، بشرح التصريف للمازني**، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين. القاهرة. ١٩٥٤م
٩٧) **النحو العربي والدرس الحديث – بحث في المنهج**، للدكتور عبده الراجحي. بيروت. ١٩٧٩م
٩٨) **النشر في القراءات العشر، لابن الجزري**، نشر على محمد الصباغ. القاهرة. بدون
٩٩) **نصوص من اللغات السامية مع الشرح والتحليل والمقارنة**، صنفه الدكتور رمضان عبد التواب. القاهرة. ١٩٧٩م
١٠٠) **نظرية النحو العربي في ضوء مناهج التطور اللغوي الحديث**، للدكتور نهاد الموسى. بيروت. ١٩٨٠م
١٠١) **النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري**، نشر سعيد الشرتوني. بيروت. ١٨٩٤م
١٠٢) **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، للسيوطي. القاهرة. ١٣٢٧هـ
١٠٣) **الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين، للحافظ مغلطاي**، نشر أوتو شبيز. شتوتجارت ١٩٣٦

ثانياً: المراجع الإفرنجية

١. C, Brockelmann: Grundriss Der vergleicenden, Grammatikde Semitischem Sprache, Bd.١–١١ Berlin ١٩٠٨–١٩١٣

٢. N, Chomsky: Cartesion Linguistics, New york, ١٩٦٠

٣. J, Kristeva: La Language cet incobbu, Paris, Seuil, ١٩٦٩

٤. G, c, lepschy: La linguistique Structurale, tradFrancais, Paris, payot, ١٠٦٦

٥. M, Leroy: Les grands Courants de la linguistique moderne, Bruxclles, ١٩٦٣, ٢ em. Ed ١٩٧١

٦. G, Monnin: Historie des linguistique des origins av xx siecle, paris, P.U.F, ١٩٦٧

٧. Th, Noldeko: Finige Bemer Kungen vber die Spracheder altem Araber, Z, Axil

٨. Rabin: Ancient west Arabian

٩. R, M, Robins: Ashort history of Linguistics, Langnan, ١٩٦٧

obeikandl.com